المَوَاقِفُ الإِلَهِيَّة

للعارف بالله تعالى

الشيخ عبد القادر بن محمد أبي الفيض

المعروف بابن قضيب البان

المتوفى ١٠٤٠هـ

ويليه

رسالة تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس

و

رسالة الأذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

كلاهما للعارف بالله تعالى

الشيخ حسن بن محمد الشيرازي

المعروف بالشرف البلاسي

اعتنى بها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان

المواقف الإلهية

للعارف بالله تعالى

الشيخ عبد القادر بن محمد أبي الفيض

المعروف بابن قضيب البان

المتوفى ١٠٤٠ هـ

ويليه

رسالة تحفة الروح والأنس

في معرفة الروح والنفس

و

رسالة الأذكار

الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

كلاهما للعارف بالله تعالى

الشيخ حسن بن محمد الشيرازي

المعروف بالشرف البلاسي

اعتنى بها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



AL-MAWĀQIF AL-ILĀHIYYAH

Followed by: RISĀLAT TUḤFAT AL-RŪḤ WAL-UNS
FĪ MAʿRIFAT AL-RŪḤ WAL-NAFS
And: RISĀLAT AL-ADKĀR
AL-MŪṢILAH ILĀ ḤAḌRAT NŪR AL-ANWĀR

المواقف الإلهية

ويليه: رسالة تحفة الروح والأنس
في معرفة الروح والنفس
ورسالة الأذكار
الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

Author : *Ibn Qadib Al-Ban (D.1040H.)*
and: Ash-Sharaf Al-Balasi

المؤلف : ابن قضيب البان (ت 1040 هـ)
والشرف البلاسي

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : د. عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1434 H. - 2013 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

Pages: *160*

عدد الصفحات : ١٦٠

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

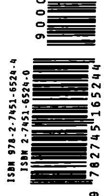
Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-6524-4*



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرَّحمٰن بخلقه أجمعين، والرحيم بأهله المؤمنين، المؤذن بحرب كل من عادى أولياءه المخلصين.

والحمد لله تعالى المتجلِّي على أحبابه المُحسنين بمواقف الجلال والجمال.

وصلَّى الله تعالى على عبده ونبيِّه ورسوله وخليله وحبيبه وصفوته من خلقه، الإنسان الكامل، والخليفة الحقيقي في أرض عالم الملك، وسماء عالم الملكوت، وحقيقة سر الجبروت، الأول بروحه والآخر بشريعته، المبعوث رحمة للعالمين بما جاء لهم به من دين كامل جامع لإسلام الجسد وإيمان القلب وإحسان الروح.

وبعد، ففي إطار الحديث عن مواقف الروح في مقامات تجلِّيات الأسماء والصفات الإلٰهية نقدِّم للقرَّاء الكرام كتاب «المواقف الإلٰهيَّة» للعارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر بن محمد أبي الفيض السيد الأفضل أبو محمد المعروف بابن قضيب البان، الذي أوقفه الله تعالى فيه على التجلِّيات التالية: نفس الرحمان، البرازخ العرشيَّة، برزخ بين الغيب والشهادة، الإيمان بالغيب، الإسراء، مقام العلىٰ، مقام الولي، مقام الخلافة، مقام المحبة، هوية الهواء، كلمة تسوية مدينة الإنسان، العلم، السُّكر، سرّ قيام الحياة بالذات، الأنانية، القطبيَّة، التصريف، الفناء، الغوثيَّة، الحقيقة المحمديَّة، الانسلاخ، مفاتيح الغيوب، سفر السالكين،

معارف مناهج العارفين، الأسماء، إيجاد الروح، الفقر المطلق، الاصطفاء، الجنات.

وإتماماً للفائدة ألحقنا بالكتاب رسالتين نفيستين منسجمتين في موضوعهما مع مضمون الكتاب والغرض منه، للعارف بالله تعالى الشيخ حسن بن محمد الشيرازي المعروف بالشرف البلاسي(*)، **الأولى**: «رسالة تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس» وهي، كما يقول مؤلِّفها، عبارة عن كلمات عرفانيَّة، ونكتات وجدانيَّة، وإشارات عرشيَّة، وتلويحات لوحيَّة، سطِّرت بأقلام شهوديَّة على أوراق وجوديَّة. ورتَّبها على مقدّمة وثلاثة تنبيهات. المقدمة في بيان معرفة ما أطلق عليه لفظ الروح. والتنبيه الأول في بيان معرفة وحدة النفس الإنسانية عقلاً ونقلاً، والتنبيه الثاني في بيان ظهور نور الحق بالعالم الأكبر والأصغر وترتيبهما ومراتبهما، والتنبيه الثالث خاتمة في بيان حقيقة العلم.

والرسالة الثانية: هي «رسالة الأذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار».

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان.

كما ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب

(*) البَلاسي: بالفتح والسين المهملة، نسبة إلى بلاس بلد بينه وبين دمشق عشرة أميال، وبلاس أيضاً ناحية بين واسط والبصرة، سكنها قوم من العرب ينسب إلى أحدهما حسن ابن حمزة ابن محمد الشيرازي البلاسي صاحب «عمدة الرئاسة في قانون علم السياسة» في سبعة كراريس ونصف بخطّه، شرع في تبييضها ثامن عشر شهر رمضان سنة 696 هـ.

والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيات 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22 - 23].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم ابراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف(*)

عبد القادر بن محمد أبي الفيض السيد الأفضل أبو محمد المعروف بابن قضيب البان

يتصل نسبه بأبي عبدالله الحسين قضيب البان الموصلي، من أولاد موسى الجون، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنّى، بن الحسن السبط، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

والحسين، قضيب البان المذكور، صاحبُ الكرامات المشهورة: ذكره كثير من النسّابة والمؤرخين. وهو الذي كان صَحِبَ الشيخ عبد القادر الكيلاني، قُدِّس سره، وزوَّج الشيخ عبدُ القادر ابنته المسماة بخديجة السمينة لأبي المحاسن عليٍّ ـ ولد الشيخ قضيب البان المذكور، وكانت قبلُ تحت ولد الشيخ عبد الرحمان الطنوشنجي؛ فمات عنها جده وتزوجها بعده أبو المحاسن عليٌّ المذكور، واستولدها ـ ذكر ذلك عبد الله بن سعد اليافعي، وشيخ الشرف، في كتابيهما. فيكون نسب السيد عبد القادر صاحب الترجمة متصلاً بحضرة الشيخ عبد القادر الكيلاني من ابنته خديجة السمينة، وبحضرة الشيخ قضيب البان من ولده أبي المحاسن عليٍّ المسطور.

وهذا السيد هو أكبر أهل وقته وفريدُ أقرانه. وُلِدَ بحماة، وهاجر به أبوه إلى

(*) وردت في كتاب (تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» [ج 2 ص 464 ـ 467] لمحمد المحبي).

حلب، وتوطن بها إلى سنة ألف، ومنها حجَّ إلى بيت الله الحرام، وجاور بمكة إلى حدود سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ومنها توجه إلى القاهرة بإشارة القطب.

وكان شيخ الإسلام يحيى بن زكريا قاضياً بمصر، فزاره. وكان معتقداً على المشايخ والأولياء، فبشره بمشيخة الإسلام وبايعه على الطرق الثلاثة: النقشبندية، والقادرية، والخلوتية. ثم أقرّه على طريق النقشبندية، وأمره بالاشتغال بالذكر القلبي، وله معه كرامات ومكاشفات. ولما ولي الإفتاء وجه إليه نقابة حلب وديار بكر، وما والاهما مع قضاء حماة بطريق التأييد برتبة مكة المكرَّمة. فلم يقبل القضاء والرتبة واعتذر عن عدم قبوله. وقبل النقابة لكونها خدمة آل الرسول ﷺ. واستمر نقيباً بحلب إلى أن مات.

وكان له كرامات شهيرة، وأحوال باهرة، وألّف التآليف الحسنة الوضع، الدالّة على رسوخ قدمه في التصوُّف والمعارف الإلٰهية.

من جملتها: «الفتوحات المدنية»، ألّفها على وتيرة «الفتوحات المكيَّة» و«المدنية» للشيخ الأكبر ابن عربي، وفيها ـ أي الفتوحات المكية والمدنية، لابن عربي ـ يقول شيخ الإسلام ابن زكريا المذكور مقرظاً عليها بقوله:

«فتوحات» شيخي غادةً مدنيةً كَسَتْهَا نفيساتُ العلوم ملابسا

فلا عَجَبٌ لو تشتهيها نفوسُنا وأبحاثها أبدَتْ إلينا نفائسا

فللّه دَرُّه الشيخِ أكبرِ عصرِه بأنفاسه لا زال يُحْيِي المجالسا

وله كتاب «نهج السعادة» في التصوُّف، و«ناقوس الطباع في أسرار السماع»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، و«رسالة في أسرار الحروف» وكتاب «مقاد القصائد» و«نفحة البان» و«حديقة اللآل في وصف الآل»، وكتاب «المواقف الإلٰهية»، و«عقيدة أرباب الخواص»، وغير ذلك ينوف على أربعين تأليفاً.

وله ديوان شعر كله في لسان القوم، وله تائية عارض بها تائية ابن الفارض،

وقد شرحها العلامة إبراهيم بن المنلا المقدّم ذكره شرحاً لطيفاً. ومن لطائف شعره قوله:

أرى للقلب نحوكم انجذابا | لأسمعَ مِن جنَابكم خطابا
فكم ليلٍ بقُرْبكم تقضّى | إلى سَحَرٍ سجوداً واقترابا
وكم من نشوةٍ وردت نهاراً | فلا خطأ وعيت ولا صوابا
وكم سَحّتْ علينا من نداكم | غيوث لا تفارقنا انسكابا
وكم نغمات أنس أسكرتنا | بها حَضَر الصفا والقبضُ غابا
توافقتِ القلوب على التداني | فلم نشهد به منكم حجابا
لقد حاز الوليُّ بكل حالٍ | من الرحمان فيضاً مستطابا
تراه بين أهل الأرض أضحى | لداعي الحب أسرعهم جوابا
وغير الله ليس له مراد | وغير حماه لا يرجو انتسابا

ومن رقيقه قوله:

سقاني الحبَّ مِنْ خمرِ العِيان | فَتُهْتُ بسَكْرَتي بين الدِّنان
وقلتُ لرفقتي: رفقاً بقلبي | وخاطبتُ الحبيب بلا لسان
شربتُ لِحُبِّه خمراً سقاني | كصحبي فانتشى منها جَناني
شطحتُ بشربها بين الندامى | ورُشْدِي ضاع مما قد دهاني
فأكرمني وتَوَّجَني بتاج | يقوم بسرّه قطبُ الزمان
وأمّرَني على الأقطاب حتى | سرى أمري بهم في كل شان
وأطلعني على سرّ خفيٍّ | وقال: السّتْرُ من سر المعاني
فهام أولو النُّهى من بعد سكري | وغابوا في الشهودِ عن المكان
مريدي! لا تَخَفْ واشطَح بِسرِّي | فقد أذِنَ الحبيبُ بما حباني

وقوله:

نظرت إليك بعين الطلب | ومِنْكَ إذَنْ طلبي والسبب
رأيتك في كل شيء بدا | وليس سواك لعيني حجب
فأنتَ هو الظاهر المرتَجَى | وأنتَ هو الباطن المرتقَب

فـأنـتَ الـوجـود لأهـل الـشـهـو دِ وأنـتَ الـذي كـلَّ شـيء وَهَـب
وعـيـنـي بـعـيـنـك قـد أبـصـرت لـعـيـنـك فـي كـل تـلـك الـنـسـب

ومن مقاطيعه قوله:

ولقد شكوتك في الضمير إلى الهوى وعـتبتُ مِنْ حَنَقٍ عـليك تَجَنُّبا
مَنّيْتُ نَفْسِي في هَوَاك فلم أجِد إلا الـمـنيّة عـندما هـجـم الـمُـنـى

(467) وقوله:

إذا امـتـدَّ كـفٌّ لـلأنـام بـحـاجـة فَقُوَّتُها من عادة الهمة السفلى
ومن يك يستغني عن الخلق جملة فيغنيه ربُّ الخلق من فضله الأعلى

وقوله:

إذا أَسَـأْتَ فـأَحْـسِـنْ واسـتـغـفـر الـلَّـه تـنـجـو
وتُـبْ عـلـى الـفـور وارجِـعْ ورحـمـةَ الـلَّـه فـارجـو

وله غيرُ ذلك من لطائف القول.

وكانت ولادته بحماة في سنة إحدى وسبعين وتسعمائة. وتوفي في حدود سنة أربعين وألف بحلب.

* * *

استهلال

الحمد لله الذي أظهر نور الوجود من عدمه بقادح جلال حال ذات قدمه عند تجلي توجهه الأزلي المحض؛ وأوجد برشاش ذلك النور عناصرَ حقائقِ الظهور: كالعرش، والكرسي، واللوح، والقلم وما في ذلك العالم الرطب الغض؛ ثم أقام منه أفلاك العالم وأملاكه العظام، وأمدّه بالكواكب السيّارة النيّرة الكرام، لتدبُّر الأمر في الخلق بأطوار البسط والقبض؛ ثم قدَّر المنازل في الكرسي والبروج في العرش، وأدار المحيط ليبرزَ عالم التخطيط، ويحكم فيه أطوار الإبرام والنقض. وبوجود النيِّرين كانت الليالي والأيام، وما فيها من أطوار النور والظلام، في الأطوار والأدوار وأدوار الزمان والمقام، لأداء السنن والفرض الموجبين للأمم القرب والبعد، والخير والشر، والرفع والحطّ.

ولما أوجد الأركان الطبيعية وأمدها باتصال الأشعة الكوكبية، فيها أوجد العوالم الحالية، ثم أوجد من الأركان المعدن والنبات والحيوان بحركات الأنوار العلية ولطافة المحض. لما تهيأت المملكة وتكاملت، وتناسلت أربابها وتعاملت، خلق الحقُّ جسد آدم، وجعله سيد العالم، وعلة الوجود وخَلَفه، وقدَّمه على أهل السماء، وجعل بحكمته أسباباً . . . والأرض. فسبحان من جعله أنموذجاً جامعاً ومختصراً واسعاً، علة للدنيا والأخرى، والناس والجنة والسماوات والأرض، والصلاة والسلام.

* * *

- 1 -

موقف نَفَس الرَّحْمان، وهو موقف الأمر

أوقفني الحق على بساط الأمر، وقال لي: انظُرْ إلى تَنَزُّل الملائكة بنَفَسِ الرحمان على قلوب المُصْطَفين بالروح الإنساني بحضرة الشهود. فرأيتُ أسرار الطيّ والنشر من خزائن الجود.

ثمَّ كشف لي عن عجائب الكون، فرأيتُ سرّ قيامه بحقائق الأشياء.

ثمَّ أراني الحقيقة الجامعة، وقال لي: هي الأسرار الإنسانية. وقال لي: الإنسان نقطة الفلك لمدار الوجود؛ الإنسان ثمرة شجرة الكون المبنية، ونواتهم المغروسة في الأرض البيضاء.

ثمَّ عَرَّفني سببَ تسخير الأشياء للإنسان وسرّ الإمداد الإلٰهي للوجود الإنساني؛ وكشفَ لي عن اتصال أشعةَ شمس روحه فيها، وإظهار القدرة في الجزء الاختياري المنسوب إلى الإنسانية؛ وأراني كيفية قيام الكون به.

ثمَّ كشف لي عن أسرار أنواع الجنس في ماهية الصورة الوجودية، وكشف لي عن أحوال أشخاص المعدومِات منها.

ثمَّ كشف لي عن مفاتيح الغيوب وأسباب الافتتاح لأبواب الجود، وأراني عروج الحقيقة على رقائق لانقلاب أعيان الأعراض إليها؛ وأراني الهداية إلى السعادة والشقاوة فيها، وعرَّفني الأمر الداعي لهِمَم ذوي العقول.

ثمَّ قال لي: انظر يَنْبوع الحياة وقوَّة سَرَيانها في أعلى الوجود وأسفله، وأوله وآخره؛ وكشف لي عن تعديلها أركان العنصر؛ وأراني كيفيَّة إيصال أشعة الكواكب إليها للتسوية والتعديل. وقال لي: انظر إلى أول ظاهر في الوجود من خزائن

الجود، فرأيتُ الماء الدافق عن القلم الأعلى إلى لوح الآخرة والأولى.

ثمَّ كشف لي عن نمو عالم الإنتاج في المعدن والنبات، ثمَّ قال لي: وبه قيام عالم الحيوان.

ثمَّ أراني التمييز في الحقيقة الإنسانية، وكشف لي عن أسرار الحواس الخمس؛ وقال لي: هي الشجرة التي لا شرقية ولا غربية، التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

ثمَّ كشف لي عن أسرار المطاعم والروائح والألوان، وفتح لي باب إدراك العقل المعاشي لظواهرها، والمُعادِي لبواطنها، وأراني كيفيَّة إنتاج أفكاره عن أسرار القوت الحسي من النبات والحيوان، وإنتاج القوت المعنوي من الأذكار والأفكار؛ وأراني نهاية عروجها وانتهاءَ سريان الأمر الإلٰهي في ذلك كله.

* * *

- 2 -

موقف البرازخ العرشيَّة

ثمَّ أوقفني على أسرارٍ برزخيَّة: مِنْ تشييء الدهر لأحوال ذوي العقول وما تقتضي قيامه فيها بحسب كل مكان وجوديٍّ وزمان، فرأيتُ أطوار تموُّج النور والظلمة في الجوهر الفرد والعَرَض؛ وكشف لي عن حكمة الأسباب الموصلة، والأنساب المتسلسلة.

ثمَّ كشف لي عن الحِكَم المعنوية، وأراني أسرار عالم الخيال والمثال، والجنة والنار، في الأنفس والآفاق، وكشف لي عن أشخاصٍ معنوية خلقها الله تعالى من جواهر أنفاس الإنسان، وقال لي: هي قائمة بقيامه، باقية معه ببقائه. وأراني مسالك طرق البقاء بعد الخروج من دار الفناء، وحَقّقني بالباقيات الصالحات خيراً في مقام العِنْديّة، وذلك برزخ جامع لنتائج الأعمال والأحوال. ورأيت القرن الصوري وإسرافيل في طبقة من طبقات ذلك العالم.

ثمَّ كشف لي عن القوى المخصوص بها الإنسان لكسب الباقيات.

ثمَّ أراني المخيِّلة والمصوِّرة والحافظة من خزانة العاقلة؛ وأراني مُروجَ كل بحر منها؛ وأطلعني على الأسرار الحاجزة بين كل بحر وأخيه؛ وأراني انجذاب الفلك الأطلس إلى فلك الكواكب وانجذابه إلى فلك البروج وانجذابه إلى كرة الأثير والأرض التي هي المركز لمظاهر أسرار ذلك كله، وحَقّقني في العين المقصودة من ذلك كله.

ثمَّ كشف لي عن الروح الجمادي، وعرّفني حكمة الرواسي منه وحكمة العيون، والأنهار الجارية فيه، وأسرار مطاعمها، والأهوية الأربع والأرواح المنعقدة من جواهرها؛ وأراني حكمة العلامات الدالة على كل سر في نفسه.

* * *

ـ 3 ـ

موقف برزخ بين الغيب والشهادة

ثمَّ أوقفني على أسرار برزخ بين الغيب والشهادة وقال لي: كلُّ سر قامَ مِنْ شريعة فهو موقوف في هذا البرزخ حتى تقوم الدنيا وتأتي الأخرى. وقال لي: هذا البرزخُ السحري الذي هو بين الموت والحياة الوجودية ـ ورأيت فيه عرش الهُوِيّة وكرسيّ تجلي الفيض للنعم الإلٰهيَّة في هذه الدار.

ثمَّ أراني إصباح ذلك النور السحري لجواهر النعم الوجودية على حسب أهلها؛ وأراني حقائق غطاء هذا العالم على ذلك البرزخ، وعرفني بالأرواح الخارقة له عند ذهابها من هذا العالم والأرواح الواقفة فيه ودونه حتى القيامة.

ثمَّ كشف لي عن الوهم المصوّر لتلك الحقائق، وأراني امتداد جوهره عن سرّ الإرادة والقدرة، وقال لي: لولاه لما طلبتُ الجنة، وإنما هو المُذَكِّر لأهل الحسِّ ألطافَ مظاهرها الغيبية.

ثمَّ كشف لي عن موقف الجن في مكان منه، وأراني موقف أهل الحيرة في المعرفة بائنة في مكان منه، وأهل الغيرة يقرب موقفهم منهم.

ثمَّ كشف لي عن مقام اليقظة ومراتب أهلها من الأنس والقُرْب في ذلك العالم العِنْدي، وقال لي: هذه مبادىء مراتب أهل الإيمان بعد خروجهم من دار الحس وغاياتهم، من رضواني الأكبر، وقال لي: إذا بدت تجليات الألوهة لا يحظى بها إلا أهل الإيمان.

ثمَّ كشف لي عن تجليات العظمة والكبرياء؛ فبدت حُجُبُ الجلال.

ثمَّ أراني منازل الظلال والمقاصدَ الموصِّلةَ إليها؛ وأراني أوزارَ أهلها وتعلق الطوارىء المانعة لها عن الصفاء؛ وأراني حالة المكر الكامن. وعرّفني أنواع العذاب الموجب للنازل في دركات ذلك المكر؛ وأراني كيفية ردّه إلى أسفله ورجوعه في طبعه، وأدركت كيفية الشِّرْك الموقِع لأهله في الكفر؛ وأراني غايات نزولهم في هذه الجهنّم المعدودة لهم.

ثمَّ كشف لي عن عواقب التقوى، وفتح لي كنوز الحياة في مقام الإحسان؛ وأراني أنوار صفاء قلوب العارفين بائنةً من أهل الشوق إليه؛ وأراني مقام المشاهدة وما فيه من الأرواح الناشئة من طيب علم العارف وعمله الذاتي في مقام المحبَّة.

ثمَّ كشف لي عن مهابط أنوار ورشاش أسراره الذاتيَّة على أهل التوحيد. وأراني كنوزاً سيُعدّها الحق من الرحمة لأهل المودّة، وعرّفني مقام الأبوَّة المعنوية وما فيه من الفضل لأوليائه المُصْطفين لنفسه في حظائر قُدْسه. وقال لي: أهل النيابة هم الخلفاء من أولاد آدم، أبدال الأنبياء، بهم يُهْتَدى إليّ، وبهم أتعرَّفُ إلى خَلْقي.

ثمَّ كشف لي عن مقاماتهم، فإذا هم على طبقات في التخلُّق بأخلاقه الذاتية، وبذلك تُحْيي أنفاسُهم مَوْتَى القلوب، وقال لي: مَن وهبتُه مفتاحَ أسرار «كُنْ» يكون له كل ما أراد برضاي.

ثمَّ أراني مسالك الطالبين، وما رزقهم فيها من أنوار التوكُّل والصبر والمحافظة على الاتّباع للقَدم الأقوم، والطاعة للأمر والنهي.

ثمَّ قال لي: كل ما خُصَّت به الأنبياء خُصَّت به الأولياء، وقال لي: مقامات الولاية في أمة محمد هي مقامات أولي العزم من الرُّسل، وقال لي: الولِيُّ من أمة محمد لا يكون إلا عارفاً بي، وعالماً بأسرار خلقي، وبما بيني وبينهم من كل رمز غامض وحال ظاهر. وقال لي: الوليّ له اطلاع من اطلاعي على أسرار المُلْك والمَلَكوت، والشقاوة والسعادة، وقال لي: «الولي» من

جعلته قطباً لمهابط الأنوار على أهل اليُمْن والشمال؛ و«الغوث» من جعلتُه رحمةً لكل شيء، وبه أنظُرُ إلى أهل المُلْك والملكوت والإنس والجن، ولأجله أُخرج الحيَّ من الميت وأُخرج الميت من الحي، وبه أُحْيِي الأرضَ بعد موتها.

* * *

- 4 -

موقف الإيمان بالغيب

أوقفني الحق على بساط الإيمان بالغيب وقال لي: انظر إلى ما خصصتُ به أهل الإيمان في دار الفردانيَّة، **ثمَّ** كشف لي عن صورة «الصلاة»، فرأيتها أنواراً متصلة من الله تعالى وملائكته إلى هوية كل مؤمن. **ثمَّ** قال لي: إذا أقامها استغرقت سائر أجزاء البشرية وانتصب القرآن على عرش قلبه، ليناجيه به ربّه. **ثمَّ** رأيت الروح الإنساني صاعداً في هذا النور الهابط إذا أقام الصلاة حتى يتم المُصَلّي.

ثمَّ كشف لي عن صورة «السلام»، فإذا هو نور قد أحاط جهات المصلي، واتصل منه إلى كل ذي روح وشعاعٌ يتلوَّن على لون صاحبه.

ثمَّ قال لي: انظر إلى رحمتي به - فرأيتها قد أحاطت بذاتك المؤمن، وصفاتُه تشعُّ، كدائرة الشمس إشراقُها.

ثمَّ قال لي: انظر إلى الملائكة في هذا المنزل - فرأيت أقرب ملائكة عند عرشه تعالى: منهم حاملون وحافُّون وصافون، وهم أجمل الملائكة صورة وأعظمهم قدراً ومقداراً، وقال لي: هم المستغفرون للمؤمنين.

ثمَّ نظرت إلى ذلك المنزل فإذا فيه عروش الأسماء المُمِدَّة للوجود: **أوّلُها**: عرش الهوية، **ثمَّ** عرش الرحمانية، **ثمَّ** العرش المجيد، والعرش الكريم، وأقربهم إلى الخلق عرش الربوبية. ورأيت لكل عرش كرسياً، وأوسعُهم كرسي الهويَّة. وقال لي: سجود كل مؤمن عند تدلّي القدمين من كرسي الهُوِية.

ثمَّ قال لي: خلقت كل نور غيبي: علوي وسفلي، وكل جسد شفاف: نوري وناري - من نتائج أرواح المؤمنين، ومن أسرار أعمالهم وحروف أقوالهم المنتهية إلى حضرتي. **ثمَّ** قال لي: أرواح المؤمنين هي أثمار الشَّجرة المحمدية النابتة من

أرض الاصطفاء على منبر المحبة، وهي تُسْقى بماء وحدة الفردانية في صفة الاستغفار من العالم الروحاني.

ثمَّ قال لي: انظر إلى منزل التوحيد! فرأيت عرش شهادة الحق والملائكة تتلألأ فيه كالنجوم حول البدر؛ ورأيت طوائف من أولي العلم من أهل الإيمان قائمين في منزل عالٍ، وقيل لي: هو منزل القِسْط الرباني وهو معدود لشهود كل حقيقة من حَقِّها. ورأيت مددهم الأصلي ممتداً من الروح المحمدي. ثمَّ رأيت في ذلك المدد النوري فائِقَ أنوارٍ تتميز عند النظر إليها، فقال لي: هي الصلاة عليه من كل مؤمن، والمودة لآله، والاستقامة على الاتباع لأخلاقه.

ثمَّ رأيتُ عرش النور المحمدي قد وسع كُلَّ شيء في العالم، وهو دون عرش الألوهة وبه متصل. ثمَّ قال لي: هو الولاية، ورأيت فيه بيوتاً كبيوت النحل في قرص الشمَع، وقال لي: أعددت لكل وليّ فيه بيتاً. ثمَّ قال لي: هو المقام المحمود للنور المحمدي؛ ورأيت منازل الأقطاب في مَرْبِطِه؛ وعند كرسيه، رأيت مقامات أهل الإيمان على الترتيب، وأدناهم أهل الإيمان التقليدي، وفي أعلاه رأيت مقامات أهل الرؤيا والكلام.

ثمَّ كشف لي عن أشباح المؤمنين في الأرض، فرأيت بصر كل وَلِيٍّ ومؤمن منصرف إلى منزله ومقامه.

ثمَّ كشف لي عن سر قد أحاط بجميع ذلك العرش والكرسي، وقال لي: هي العزَّة، ورأيتها ممتدة من ذات العرش الإلٰهي.

ثمَّ كشف لي عن جنة هناك عن يمين ذلك العرش، وقال لي: هي مقر أعمالهم ومنتهى صور نيّاتهم. ورأيت فيها ما أخبأه الحقُّ تعالى لأوليائه المؤمنين من الإكرام والإعزاز، وخصوصيات ميَّزهم بها على سائر الأمم. ورأيت بها أشجاراً مطعّمة من أشجار غيرها وهي حاملة من غير جنسها. فلما أمعنت النظر إليها، قال لي: هي السيئات التي بَدَّلها الله تعالى بالحسنات من الفضل أو من أعمال تحتها. ورأيت فيها مقامات الاقتفاء للأخلاق المحمدية، وأعلاها مقامات المتخلقين بالأخلاق الإلٰهية، ورأيت منازل آل محمد ﷺ في

أعلاها، ورأيت بها منابر مزيّنة وكراسيّ محسنة معظمة. ورأيت ما لا يخطر ببالٍ بشر في تلك الجنة، وقيل لي: هي من نتائج الفضل للمؤمنين. ورأيت فيها باباً ينتهي إلى الأرض البيضاء، وقال لي: فيه مهابط الحقائق الأسمائية، ورأيت أعلاه باب الحياة الأبدية، ورأيتها وهي منتزلة على أهل تلك الجنات كالمطر على أهل الأرض.

ثمَّ كشف لي عن معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: الآية 48]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريَم: الآية 40].

* * *

ـ 5 ـ

موقف الإسراء

أوقفني الحق على بساط الإسراء المنيع، وكنت في حَرَم الافتقار للرؤيا بين النوم واليقظة ضجيعاً. فبينما أنا على تلك الحالة، إذ جاءني الروح ومعه براق الهمة السبُّوحي، فبادر بالسلام، وأفصح بالكلام، وقال: يا حبيب الحضرة! أنت المطلوب للمكالمة والاستماع، والمقصود في هذه الليلة للاجتماع؛ وقُمْ توجّه بوجهك الأعلى، وتبصَّر في آياته الكبرى، فنهضتُ بالشوق التام، وعلوتُ بالهمَّة لذلك البراق، **ثمَّ** سِرْنا على وجه الآفاق. ولما تركت المقام لرؤية المرام، بدت لنا الأطوار الموهومة والأشخاص المعلومة. فأول ما صَرَخ بي صارخ الحضيض، ومعارض ملاهي التحريض، فلم ألتفت إلى صُوَرها الغيرية، ولا زلنا في وارد السير في البرية، حتى قدمنا أقصى الحسن، وقِبْلة الأنس، فنظرت الآباء هناك وقوفاً، ومن حولهم الأمم صفوفاً، فتلقتني الكلمات التامَّات الأوَل، وزجتني في محرابٍ قام من الأزل، فأحرمت بهم إحرام الصلاة للحضور، وناجيت الربَّ الغفور. **ثمَّ** لما حصل التحليل بالسلام وأخذت عليهم عهود القيام، ولما أردنا مفارقة عالم الأنس وأهل الحسن، أتانا لطفُ القوت، وكان قداح الفطرة فيه، فتناولته وقصدت أستوفيه، **ثمَّ** تركتُ فيه بقية، وكم في ذلك من الأسرار المخفية! **ثمَّ** نظرت إلى سُلّم نُصِب هناك؛ فأخذنا نرقى عليه، وما أهنأ ما كان مرقاه! وما أعظمه أمراً حينئذٍ شاهدناه، وكم شاهدنا من صور الأشكال والأشباح! وكم قابلنا من عجائب الأنوار والأرواح! وكنا نقف على كل كرة، ونرى ما فيها من العجائب المعتبرة. وكم رأينا في تلك الدرجات من أرواح الإنس المعروفة، عند خصائصها موقوفة، حيث لم يُؤذَن لها بالصعود إلى القضاء المشهود، ولا زلنا نُزُلاً حتى إلى فلك القمر النير، على عالم التعمير والتغيير.

ولما وصلنا إلى مستوى آدم المُفِيض بروحه على ذلك العالم، قال الروح: هذا أبو البشر، المُمِدُّ بنوره لكل الصور. هذا المشار إليه في هذا المقام بالمسك الختام. هذا قطب بين عالم السماوات والأرض، المعروض عليه مما صعد من أولاده من سائر أعمال السنَن والفرض. ولما تمثّلت بين يديه وسَلّمْتُ عليه، آنسني بالخطاب، وسألته عن التسوية والنفخ والاصطفاء في ذلك، والهبوط إلى الحضيض في أي مكان كان. ثمَّ لا زال يكشف لي أسراراً غامضة، ويحقق لي أسباباً رامضة[1].

ثمَّ أشار إلى باب عن يمينه، ومفتاحُه في يدِه، وقال لي: هذا الباب الذي يكون منه الأوبة، ولا يزال مفتوحاً إلى التقاء النيرين، القائمين بشكل آدم وحواء في العين.

ثمَّ أدخلني المنزل الإلٰهي في الثلث الأخير؛ ومنه ودعت الأب الكبير.

ثمَّ زجّني الروحُ بالشوق إلى جهة الفوق، حتى حللنا الطبقة الثانية، فتلقانا بها أمم سانية، ورأيت في ذلك السّوْح نبيَّ الله نوحاً، يُمْلِي على أهل كل صنعة صنعته، ويبكي حتى تجري على خديه دمعتُه. ورأيت دموعه أصل وجود الشهب، لتنوير تلك الحجب، ورأيت هناك أرواح العلماء به حافّة، وأقدام الشُّهداء بين الملائكة صافّة؛ وهذه السماء من سنة أفكار الإنسان، ورأيت فيها عينَ ماء جارية إلى فوق، وأرواح أهل الشوق والعشق واقفة في تلك السماء. ورأيت فيها فارساً على فرسه طارداً، لا يمل ولا يكل ساعة واحدة. فسألتُ عنه، فقيل: هو المَلَك عُطارِد، كاتب الأخبار، وكلّ مَن في تلك السماء كتبة، ولصرير أقلامهم أصواتها، يسمعها كل ذي روح، وأخبارُها تنفذ إلى الأمصار.

ثمَّ ارتقينا إلى السماء الثالثة، وهي أعظم دائرة، وفيها أشخاص يغرسون أشجاراً، ويبنون القصور في تلك الدار؛ وتلك الأشجار تحمل عماد تلك

(1) الرمض والرمضاء: شدَّة الحر. والرمض حر الحجارة من شدَّة حرّ الشمس، وقيل: هو الحرّ والرجوع عن المبادي إلى المحاضر. وأرض رمضة الحجارة.

القصور. ورأيت عليهم حاجبين موكلين، اسم الواحد: القوة، والآخر: الحول، فأخذا بيدي، ودارا بي تلك الأماكن كلها، ولذلك السماء من الأسماء المقامُ الأحمى. وفيها رأيت يوسُفَ الصدِّيق جالساً على كرسي من الحُسْن، وبين يديه صور الجمال. ورأيت في ذلك السماء صورة مبتسمة والحياءُ ظاهر منها، فقال لي الروح: هذا المسيح ابن مريم روح الله. ورأيت فيها ملائكة، لكل مَلَك ألفُ رأس، في كل رأس ألف وجه، في كل وجه ألفُ فم، في كل فم ألف لسان. وقال لي الروح: هذه الملائكة الذين وكلهم الله بأرزاق أولاد آدم في الأرض، وعليهم مَلَك أعظمُهم اسمه «القاسم».

ثمَّ انتهينا إلى السماء الرابعة، وهي من معدن الفضة، وجنس خلقها منها، لهم أنوار تتلألأ. ورأيت هناك ملكاً على كرسي جالساً، أعظم أهلها هيبة، وهيئة، والملائكة حافّة به؛ فسألتُ عنه، فقيل: هو مغناطيس الأرواح وجامعها بعد انبثاثها في الصور، ورأيت مكتوباً على كفه الأيمن أسماء كل ذي روح من مَلَك وجن وإنس وحيوان. ثمَّ قال لي الروح: اسم هذا السماء: «القدرة الباهرة». وفيها رأيت إدريس وأكثر أولياء أمة محمد العارفين بالله. وفي هذه السماء انتشت فيَّ الحواسُّ حتى بقيتُ أدرك بكل حاسةٍ كلَّ ما تدركه الحواس الخمس؛ وفيها خرق بصري الكونَ، وشاهدتُ أعلى علِّيين وأسفل سافلين.

ثمَّ انتهينا إلى السماء الخامسة، وإذا هي من معدن الذهب، ولونها حمراء، وخلق أهلها من جنسها، وفيها رأيتُ خلقاً لا يمكن تكييف صورتهم خاشعين شاخصين، وبين ساعة وساعة تنزل عليهم لوامع أنوار فتدهشهم. وهناك رأيتُ يحيى وزكريا وهارون. فتقدمتُ لهارون واستأنستُ به، وسألته عن معرفة أهل هذه السماء لربها. فذكر أن فيها من يطلب معرفتَه من أهل الأرض كلما ذكر فيها عالِمٌ، وأن إيمانهم بالغيب مثل إيمان أهل الأرض. وأهل هذه السماء مخلوقون من عالم الجلال.

ثمَّ انتهينا إلى السماء السادسة، وهي من لؤلؤة، ونورها أبيض يُعْطِي إلى

الصفرة، وخلق أهلها منها. وفيها رأيت موسى بن عمران عليه السلام؛ وفيها رأيت ملكاً اسمه بلسائيل، أعْلَمَ أهل السماوات بعلم الخلق الأول وعلم تجليات الحق في غيب ذاته، لأنه فاتحني بعلوم غريبة على سبيل الأسئلة. وسألته عن أهل الأرض البيضاء وأصل نشأها، فأجاب عنها بأنها خُلِقت قبل أن يخلق الله تعالى السماوات والأرض بكذا ألف سنة. وذَكَرَ أن هذا الليل والنهار والشمس والقمر كانوا موجودين في عالم منها، وكذلك الجواري الكُنّس. فلما خلق السماوات نقل كل كوكب إلى سماء منها. وذكر أن الجنة والنار يسمع بهما أهلُ السماوات من الملائكة، وأهلُ الأرض من الجن ولم يدروا أماكنها. ومنه سمعتُ أن الله تعالى كتب كتاباً عنده أن النار حَرَّمها على محمد وآل محمد، وعلى كل من تداين بدين الأنبياء ﷺ وآلهم؛ وأن الجنة حرام على أحدٍ من خلق الله حتى تدخل أمة محمد.

ثمَّ انتهينا إلى السماء السابعة، وهي دُرّة بيضاء كاللبن، وخلق أهلها من جنسها، وفيها ملك اسمه روحائيل موكلٌ بأهلها، ومُعَلمهم ما يحتاجون إليه من العلم. ورأيت في هذه السماء سبعة أبحر تجري، لكل بحر لون وطعم، وعليه عُمَارٌ وسكان من جنسه؛ وأكثر أهلها بأجنحة؛ والواحد له ألف جناح وزيادة ودون ذلك؛ ومنهم من له ألف وجه ودون ذلك. وفيها مَلَك على كرسي من نور، له أربعة أوجه: وجه على صورة الإنسان، ووجه على صورة الأسد، ووجه على صورة الثور، ووجه على صورة الأسد؛ وكل وجه منهم يسبِّح الله تعالى بنوع من التسبيح، ويطلب لجنسه الرزق من الله تعالى وفي هذه السماء رِضْوَان خازِنُ الجنان؛ وأجملُ الملائكة مِنْ جُنْده؛ وفيها إسرافيل رئيس عالم الجبروت. وهو الذي بَشّرني بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربي، وبالسعادة في الآخرة، والشفاعة في أمة محمد ﷺ. وفي هذه السماء رأينا إبراهيم الخليل مُسْنداً إلى البيت المعمور؛ وتركت عنده الروح الملكوتي. وأخَذَ بيدي الرئيس للأرواح الجبروتية، إسرافيل؛ **ثمَّ** انتهينا إلى بِحار سبع: بحر أحمر، وبحر أسود، وبحر أزرق، وبحر أخضر، وبحر أبيض، وبحر أصفر، وبحر لا لون

له. **ثمَّ** انتهينا إلى حجبٍ سبعين، حُجُب عند كل حجاب من الحُجُب من أصناف الملائكة ما لا يعلم صنفهم وعددهم إلا الله تعالى. وعَرْض كل حجاب كما بين المشرق والمغرب هناك، وعمقه كما بين السماء والأرض.

ثمَّ انتهينا إلى سبعين حجاباً آخر: منها مِن ذَهَبٍ، ومنها مِن فضة، ومنها من نحاس، ومنها من جوهر، ومنها من ثلج، ومنها من بَرَدٍ، ومنها من نور، ومنها مِن ظلمة. وكنتُ كلما دنوت من حجاب تلقاني حاجبه وزجَّني فيه إلى أعلاه بعدما يريني عجائبه وصُنْعَ الحق تعالى فيه، ويبشرني بالكرامة من ربي القادر حتى انتهيت إلى آخر حجاب هناك، وإذا بكرسي من اللؤلؤ مُنْصَبّة قوائمه من الجوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر؛ فأخذ آخذٌ بيدي وأجلسني عليه، **ثمَّ** نُزّل عليَّ شيءٌ ودخل جوفي من حيث لا أعلم. فقال لي شيء في قلبي، ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية، فلما أحسّ باطني بها سكن كل جارحة فيَّ، فكأني لم أرَ أشياء ولم يهُلْني شيء.

ثمَّ نوديتُ من مكان قريب، وذلك من جهاتي الست: يا حبيبي ومطلوبي! السلام عليك! فَغَمضت عينيَّ، وكنت أسمع بقلبي ذلك الصوت حتى أظنّه من جوارحي لقربه مني، **ثمَّ** نوديتُ: انظُرْ إليَّ! ففتحت عينيّ فصرت كلي أعيناً، وكأن في باطني ما أراه في ظاهري، وصرتُ كأني برزخ بين كونين وقاب، كما يرى الرائي عند النظر في المرآة ما في خارجها. **ثمَّ** سمعتُ بقارىء يقرأ قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: الآية 285]. وإذا بذلك الحجاب قد رُفِع وأُذِنَ لي بدخوله. ولما دخلته رأيت الأنبياء صفوفاً صفوفاً ودونهم الملائكة؛ ورأيت أقربهم إلى الحق أربعة أنبياء، ورأيت أولياء أمة محمد أقرب الناس إلى محمد وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى، وأقرب إليه أربعة أولياء، فعرفتُ منهم السيد محيي الدين عبد القادر، وهو الذي تلقاني إلى باب الحجاب وأخذ بعَضُدي حتى دنوت من سيدنا محمد ﷺ، فناولني يمينه فأخذته بكلتا يديّ، فلا زال يجذبني ويدنيني

حتى ما بقي بيني وبين ربي أحد؛ فلما حققت النظر في ربي رأيته على صورة النبي، إلا أنه كالثلج أشبه شيء أعرفه في الوجود من غير رداء ولا ثياب. ولما وضعت شفتي على محل منه لأقبّله أحسست ببرد كالثلج سبحانه وتعالى فأردت أخِرُّ صعقاً، فمسكني سيِّدنا محمد ﷺ، وأعادني إلى ورائي، فعدت معه، فتلقاني ثانٍ، فلا زلتُ القهقرى وأنا شاخص إلى ما أراه، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا على الكرسي الأول وأنا ألهَجُ بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

* * *

- 6 -

موقف مقام العلى

أوقفني الحق العلي الأعلى على بساط مقام العُلَى، وقال لي: افتح بصيرة نظرك فيما دونك من الملأ، وليكن نظرك فيما يليك منه؛ فرأيتني واقفاً على قدمي الأمر والنهي في صفة بين الخلق الجسماني والروحاني، وبين الحق.

ثمَّ قال لي: انظر ما فوقك! فرفعتُ نظري حتى العَماء، فإذا عرش الهوية على الهواء، وفيه ظلال حقائق الأسماء، منطبعة في ماهية مجهولة الرؤيا، تشعّ بأنوار أمواج لا بكيفيَّة النور والظلمة المدركة للحجا، متصلة رقائقها، في كل صورة ومعنى، فيما يليني من الأشياء.

ثمَّ نظرت فيما انجلى لي من ذلك البرزخ الأعلى، فإذا أنهار سبعة مُنْهَلّة تتخلل بدور عجيب الوضع، ينتهي بعضها إلى بعض على غير حدٍّ في الطول والعرض، محيطة بما هنالك من سماء وأرض، تجر من بحرٍ واحد الأصل، ليس لُلُجَّتِهِ ابتداء، ولا لأمواجه انتهاء، ولا لمخلوقاته عدد ولا منتهى ولا بَعْد ولا قبل. فقلتُ: سبحانك لا علم لي بما رأيت، ولا جهل بي فيما دريت، ربَّ كل شيء ووارثه!.

* * *

ـ 7 ـ

موقف مقام الولي

أوقَفَنِي الحق الوليّ على بساط مقام الوليّ، وقال لي: حقِّقْ جهاتك، وما ظهر من الملأ. فنظرتُ أمامي، فإذا بالسُّبُحات الوجهية قد كُشِفت، ولاح منها صُوَر المطالب الاقتضائية والعوالم الأبدية والأخروية، ومنازل الطالبين منها، وماهية استعدادهم الكوني من نتائج حال الأمر والنهي.

ثمَّ نوديتُ من ورائي، فالتفتُّ؛ فإذا أهل المطالبِ ـ فرقاً ـ قابل كلٌّ منهم مطلوبه، وهو في قصد السلوك إليه بأنواع التقربات والتوجه والتحدق فيه مع الغيبة عن غيره سكرانَ بمحبتِه، نشوان بهمّته، مُجِدّاً على قدمي الخوف والرجاء لبغيته. **ثمَّ** التفتُّ يميناً فإذا بمراتب النبوَّة والرسالة قد حازت السبق للأمم على الصراط السويّ الأممَ، وقد هيئت لكل داء دواء، ولكل طائفة لواء، وهم ينادون: الرحيل! الرحيل! للمنزل الأجْلى والرفيق الأعلى، وعن أيْمَانهم بحار الأهوية تتلاطم بالأمواج الأماني؛ وعن شمائلهم جبال نيران الظلال شامخات الفجاج؛ ومن ورائهم الأمم محرضون على متابعة القدم، إن نظروا يميناً خافوا الغرق، وإن نظروا شمالاً خافوا الحرق، وهم مُجِدُّون في الاتباع، ناظرون لما تراءى لهم من الانتفاع، راجين الوصول إلى المأمول.

ثمَّ التفتُّ شمالي، وإذا بشجرة عظيمة المقدار، مشعبّة الأغصان، مغدقة الأثمار، قام أصلها في عين ماء منهمر، له دويٌّ كالرعد القاصف، وقد اشتد

بحركة أغصانها الريحُ العاصف، وهي تنثر الأثمار في جو عميق القرار لا تدركه الأبصار. وقد وكّل الرب جلَّ وعلا فيما سقط من ذلك الحَبّ، روحانيين. فكلما سقطت واحدة منها تناولها وغاب عنها حيث أراد الله أن يغيب.

ثمَّ نوديتُ مِن فوقي، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بعرش ربي بارزاً، وعن يمينه دار الجمال، وعن شماله دار الجلال، والعرش ينادي بأفصح لسان: سبحان مَن هو كلَّ يوم في شأن!.

* * *

- 8 -

موقف مقام الخلافة

أوقفني الحق على مقام الخلافة العظمى، وقال لي: أنت نُكْتة الكون وحقيقة الوجود وبرزخ الغيب والشهادة، وروح لامَيْ الملك والملكوت وأَلِفَ الجبروت، وهاء اللاهوت؛ وأنت سرُّ نقطة قبْلة الجهات الغيبيَّة والعينيَّة.

ثمَّ قال لي: انظر عالم الاختراع! ـ فرأيت كيفيَّة الأين، وإنشاء الدوائر الأفلاكية، وسريان حركاتها في الأكوان المعنويَّة والحسيَّة، وكيفيَّة ظهور الأثر بها في الأرواح الأخلاطية من أسرار المولّدات وحركات الثقلين.

ثمَّ قال لي: انظر على ماذا أنت! فرأيتُ العرش المجيد، فكشف لي عن حقيقته، لأتحقق بحالتي الاستواء والاحتواء. ثمَّ كشف لي عن حقائق أسماء الأفعال، فرأيتها تجول في مفعولاتها، ورأيت براهينها والدلالات الشاخصة في معاني معلوماتها، ورأيت شجرة الأمر نابتة من تحت كرسيّ عرش الألوهية.

ثمَّ أتى لي بشيء، وقيل لي: هذه الأمانةُ. ثمَّ رأيت عليها صورة الإيمان، وهو على صورة إنسان، صامت خاشع عليه أثر الحياء. وقال لي: هو أول لباس أُلْبِسَه آدم في جنة المشاهدة الذاتية.

ثمَّ نظرتُ إلى جوهرةٍ تُجَاه وجهي تشعُّ عنها أنوار أربع تنتهي إلى شكل يتركب من لهيب تلك الأنوار، ثمَّ يتحلل بعد حين من الدهر، ثمَّ يتركب ثمَّ يتحلل ثمَّ يتركب؛ ولا يزال على هذه الحالة، وكلما تحلل عاد وتركَّب وظهر على صورة آخر غير الأول.

ثمَّ نُصِب لي كرسي؛ وقيل لي: اصعد إليه. فإذا هو بثمان مراق رقيتها، ثمَّ انثنيتُ وجلستُ، فتحمدتُ الله تعالى عليه بمحامد ألهمنيها، ورأيت شخوصاً وأشكالاً على صور شتى حافّة بي.

ثمَّ نزلت لمحرابٍ قائم عن يمين، فانتصبتُ وصلّيت صلاة تامة الركوع والسجود والسلام.

ثمَّ توجهتُ وقد قال لي: ها قد جعلتُ لك سلطاناً مبيناً، ووزيرين معك في المدينة: العقل، وهو أزلِيٌّ ملكوتي؛ والنفس، وهي أبدية فلكية ناسوتية. اذهَبْ بطومار كلامي وعَلَم معرفتي وجند محبتي وخِلَع دلالتي وفرس عزمي وراية طاعتي. وتوجّهْ في مملكتي؛ من رآك رآني؛ والذي تريده إرادتي، وأنا معك حيث كنت في وجودي. فقلتُ: سبحانك! لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

* * *

- 9 -

موقف مقام المحبة

أوقفني الحق على مقام المحبة، وقال لي: هي رقائق أنوار قلوب العارفين بالله. **ثمَّ** نظرتُ إلى ذروة عرشها، فإذا هو قد أحاط بكل مخلوق، وسَناه في كل مخلوق شعاعُه. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى العشق الإنساني! فرأيتُ إلى سرٍّ قد تشغّفت به الأشياء، وقد انتهى إلى ذات لا تدرك كيفية سريانه بها، وهي تتلوَّن بحسب تلوينه فيها، وهو كلَّ آنٍ في شأنٍ معها. **ثمَّ** قال لي: إلى قيام تلك القلوب وقوالبها! فإذا القوالب منجذبة لما تهواه القلوب، متلونةٌ بتلوين كل محبوب. **ثمَّ** قال لي: انظر كيف جعلتُها الزمام، أقود بها كثائف الأشباح والأجسام، وبها أُألف بين الأجناس النوعية إلى غاياتها. **ثمَّ** رأيت كيفية سر المكر الإلٰهي في صورة المحبة وكيفيَّة استدراجه القلوب الغافلة عنه إلى المعرفة به، وكيفيَّة استخلاص النفس من إرادتها إلى المَحْق في إرادته. **ثمَّ** قال لي: ولا كل قلب يدرك ذلك إلا مَن قيل له: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طٰه: الآية 41]. وقال لي: انظر إلى العلل الوجودية وأدويتها والنظر للحكم الإلٰهية في تناسبها، وانظر لحكمة الوهم المصوّر لتلك الحقائق الفعالة عند قوله تعالى للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعَام: الآية 73].

ثمَّ قال لي: خلقتُ كل شيء بتوجه: «كُنْ» إلا الإنسان، فإني خلقته بيدي، وبه تم الخلق والأمر، وجعلت قلبه فلك المحبة الذاتيَّة، وآليتُ أن يكون عَمار الدنيا والآخرة والجنة والنار وبأنفاسه تقوم السماوات والأرض، فقلت: سبحانك تباركت!

* * *

- 10 -

موقف هويَّة الهواء

أوقفني الحق على عرشه الأدنى فوق هوية الهواء، **ثمَّ** قال لي: انظر إلى كرة الأرض! فرأيت نفسي على كرسي بين الأرض والسماء على أربعين ميلاً فوق صخرة بيت المقدس. **ثمَّ** قال لي: هذه حظيرة القدس، هذا سطح المسجد الأقصى. **ثمَّ** نظرت يميناً وشمالاً فإذا الأقطار والبراري والبحار، وما ثمَّ هناك من جبال وسهل وأنهار، وجزر وأبيار، ومعمور ودُثّار. **ثمَّ** كشف لي عن أسرار الأقطار، فإذا كل قطر به عمود من نور متصل شعاعه إلى السماوات وبه صور أشخاص صاعدة هابطة لا تُعد ولا تحصى، ولها ألوان يدركها الرائي وأشكال مختلفة.

ثمَّ كُشِف لي عن أسرار التكوين الوجودي الناشىء عن ذلك النور القائم بتلك الصور البارز للأعمال في أهل الحسّ. **ثمَّ** أشهدني سر التبديل والتغيير والمحق والإثبات والجمع والتفرقة، وسرّ التحليل والتركيب، وسرّ النفخ في الصور. وكشف لي عن أسرار عالم الخيال والمثال، وتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، وسر إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وأسرار الاتصال والانفصال في الجوهر والأعراض. **ثمَّ** قال لي: أرواح الأقطاب في الأقطار. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى قطب الأقطاب! فنظرت أمامي، فإذا الكعبة والحرم، فقال لي: هي حِمى قطب الغوث. **ثمَّ** كشف لي عن أسرارهم في العالم الروحاني، فإذا هي تتجلّى بفيض أنوار وأسرار وأشباح، وقد أحاط بها أهل الحس، وأهل المعنى يطوف في أعلى معناها. **ثمَّ** كشف لي عن مركز نقطة الفيض لمدد الحافّين، فرأيت ينبوعاً فيّاض النور ظاهراً من عين القطب الغوث. **ثمَّ** قال لي: هذا أصل الأصول، وغاية كل مأمول في الحس. هذا سر تجلّي الاسم الظاهر الباطن، الأول الآخر؛ هذا أبو الآباء العلوية والأمهات السفلية؛ هذا

السراج المنير على كل كوكب بشعاعه الذاتي في كل كون؛ هذا الباب لسرود كل موجود ولدخول كل مفقود؛ هذا العين الباصرة منه في الأشياء، الداعي كل شيء بعوده لأصله.

ثمَّ حققت النظر في ذلك النور، فإذا هو شمس لا يمكن تمعن النظر إليه، ولا يحقق البصر لذاته، يَخْطَفُ الأبصارَ شعاعُه. فلا زلتُ أندفع إليه وأدنو منه حتى قربته، وأردتُ الوقوع عليه من قوة ما اختطفتُ منه بالجذب إليه، فمسكني ماسِكٌ بيده، وثبتني. **ثمَّ** سمعتُ النداء من العلا: أكرِمْه أيها الإنسان الكريم بِخِلَعِ الكشف والتكريم! وإذا بخلعة نزلت من العلا، مكتوب على صدرها: هذه خلعة الولاء على أسرار الملاء، ومكتوب عليها آيات الحرس. فألْبِسْتُها وأُمِرْتُ بالقيام للصلاة؛ **ثمَّ** أونست بمخاطبات ومناجيات. **ثمَّ** أُمِرَ لي بقلم العلم ودواة الهداية، وقال لي: قد وُهِبت من تمكين الدعوة لتقابل حقائق العقول في مقام الإحسان بواردات آيات الدليل والبرهان. فحمدت الله تعالى وأثنيت عليه، ونظرت إلى وجهه الكريم؛ فإذا هو مبتسم عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول: قُل: لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله، فهي وسيلة الوصول. فقلتها بأعلى صوت، وعلمت أنها سرّ القوت.

* * *

- 11 -

موقف كلمة تسوية مدينة الإنسان

أوقفني الرحمان على حكمة تسوية مدينة الإنسان، وقال لي: مَثَلُ بِنْية جسد ابن آدم وتركيبه من أجزاء العالم كمثل مدينة أُسِّسَتْ وأُتقنت من أشياء مختلفة **ثمَّ** أُحكمت بجمعها المؤلفة، فشيدت عمارتها، وحصِّن سورها، وخُطّت شوارعها، وقُسمت محالها، ورُتبت منازلها، ومُلئت خزائنها، وسُكنت دورها، وسُلكت طرقها، وأُجريت أنهارها، وفُتحت أسواقها، واشتغلت صناعها، وقعدت تجارها، ودبرها مَلِكُها وخَدَمَةُ أهلُها، وأطاعها جندها.

ثمَّ قال لي: انظر حكمة ذلك وأسرار البدء فيه، فرأيت اختراع الطبائع أولاً، وقال لي: هي مفردات متغايرات متعاديات، ألقوا بسلطانها، وهي أساس هذه المدينة وأجزاء أركانها. **ثمَّ** كشف لي عن حكمة أخلاطها وتعادي طباعها ومناسبات قواها التي جمعت من أركانها. **ثمَّ** رأيتُ حصول تسعة جواهر منها، مختلفة أشكالها، قد جعلها مِلاكَ نباتها. ورأيت حكمة التأليف لها، وتركيب بعضها فوق بعض، وقد جُعِلت متصلاً، أقامها خدامها بمائتي وثمانية وأربعين عموداً مستويات القد، وسمّرها ومدّ حبالها وشدّ أوصالها بسبعمائة وعشرين رباطاً ممدودات ملتفات عليها. **ثمَّ** كشف لي عن تقسيم بيوتها وخزائنها، فرأيتُ بها إحدى عشرة خزانة علوية من جواهر مختلفة ألوانها، قد فُتحت أبوابها وأنفذ طرقاتها، وخط شوارعها، وجعل لها ثلاثمائة وستين مسلكاً لسكانها، وكشفت لي عن عين ماء فيها قد شقّ أنهارها بثلاثمائة وستين جدولاً مختلفات الجهات في جريانها، ورأيت اثنى عشر باباً مزدوجة قد فُتحت في سورها. **ثمَّ** رأيت ثمانية صناعٍ متعاونين على إحكام بنائها قد أحكمت بناء هذه المدينة على أيديهم، همُ خدّامها، ورأيت قد وكّل لحفظها خمسة حراس حرصاً على حفظ أركانها. **ثمَّ** رأيت قد ارتفعت هذه البنية في الهواء على رأس عمودين، ورأيت لها جناحين لحركتها إلى الجهات الست.

ثمَّ كشف لي الحق تعالى عن سكنة هذه المدينة، فإذا هي قبائل من الجن والملائكة وقد رأس عليهم ملكاً واحداً علَّمه أسماء مَن فيها كلهم وأمره بحفظها وأوصاه بحسن سياستها، وقال له: أنبئهم بأسمائهم، **ثمَّ** أمرهم بطاعته، فقال: اسجدوا لآدم، **ثمَّ** رأيت حكمه، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس. **ثمَّ** قال لي: أما الأركان التي أسست بها هذه المدينة وشيّدها هذا البناء فهي العناصر، وهي أمهات العالم الحسِّي. وكشف لي عنها، فإذا هي: النار، والهواء، والماء، والأرض. **ثمَّ** كشف لي عن أرواحها، فإذا هي الحرارة، والرطوبة، والبرودة، واليبوسة. **ثمَّ** أراني أخلاطاتها من المدينة الإنسانية، فإذا هي: الصفراء، والسوداء، والدم، والبلغم. **ثمَّ** كشف لي عن التسعة الجواهر، فإذا هي: العظام، والمخ، والعصب، والعروق، والدم، واللحم، والجلد، والعضل، والشّعْر. وقال لي: بها قيام المدينة وعمارها؛ فإذا فسد الأخلاط وروح الفيض انهدمت.

ثمَّ كشف لي عن طبقاتها العشرة: فإذا الأول الرأس، وهو محل المعاني الحكمية والقوى الذاتية؛ والثانية: الرقبة، وهي الباب لدخول الأسرار ولخروج العلوم الغيبية. والثالثة: الصدر. والرابعة: البطن، والخامسة: الجوف. والسادسة: الحِقوان، والسابعة: الوركان. والثامنة: الفخذان، والتاسعة: الساقان، والعاشرة: القدمان. وقال لي: عُمّال بناء هذه المدينة حِسّاً عظامها، ورباطاتها الأعصاب. **ثمَّ** كشف لي عن الإحدى عشرة خزانة، فإذا هي: الدماغ، والنخاع، والرئة، والقلب، والكبد، والطحال، والمرارة، والمعدة، والأمعاء، والكُلْيَتان، والأنثيان. **ثمَّ** كشف لي عن الشوارع والطرقات، فإذا هي: العروق الضوارب، والأنهار هي الأوردة، والأبواب الاثنا عشر هي: العينان، والأذنان، والمنخران، والفم، والسرة، والثديان، والفرجان. **ثمَّ** أراني الصنَّاع الثمانية في البنية، وقال لي: هي القوى المعنوية في الروحانية، أولها: اسمه الجاذبة، **ثمَّ** الماسكة، **ثمَّ** الهاضمة، **ثمَّ** النامية، **ثمَّ** المولّدة، **ثمَّ** الغاذية، **ثمَّ** المصوِّرة.

ثمَّ رأيت الحرَّاس الخَمْسَ، وقال لي: هي أمراء المدينة وقوّادها ظاهراً. وسمّى لي الأول: السمع، **ثمَّ** البصر، **ثمَّ** الشم، **ثمَّ** الذوق، **ثمَّ** اللمس.

ثمَّ كشف لي عن العمودين اللذين قامت عليهما المدينة، وسمّاها لي: الرجلان. وقال لي: انظر إلى الجناحين؛ فرأيتهما صورة الجلالة عند انفتاحهما. وقال لي: هما اليدان، بهما يتناول سكّان المدينة من الجهات. **ثمَّ** قال لي: الجهات الست هما: الفوق والتحت، والقُدَّام والخَلف، واليمين والشمال.

ثمَّ كشف لي عن حقيقة القبائل الساكنة للمدينة الإنسانية، فإذا هي النفوس الثلاث؛ وأراني قُوَاهُنَّ وأخلاقهن وأفعالهن، **ثمَّ** قال لي: النفس الأولى هي النباتية، واسمها الشهوانية، وعنها منشأ عالم الجن؛ **ثمَّ** الحيوانية، واسمها الغضبية، وعنها تنشأ الوحوش؛ **ثمَّ** الناطقة، واسمها الإنسانية والمَلَكية، وعنها تنشأ المعارف الإلٰهية.

ثمَّ كشف لي عن الرئيس، فإذا هو صورة نورانية أقدم صورة في المدينة، **ثمَّ** قال لي: هو العقل، ومقامه فيها كآدم في الدنيا من عالم الكون، وكشف لي عن كرامته في بَرِّ الوجود، وبحر الشهود، وأراني رزقه من الطيِّبات من الموارد الإلٰهية.

وكشف لي الحق عن استفاضة من النور الأول وفيضه على أهل المدينة، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه، ورأيت له وزيرين فيها: الفهم والنطق. وقال لي: هما اليتيمان في المدينة؛ وأراني كنزهما؛ وبابه المعرفة.

* * *

- 12 -

موقف العلم

أوقفني الحق على بساط العلم، وقال: طلب العلماء الأبرار الكلمات الأسمائية، ومعرفة الحقائق الكونية. **ثمَّ** كشف لي عن مادتها، فإذا هي مِنْ نَفَس الرحمان. ورأيت أم الكتاب؛ وقال لي: هي الخزانة الجامعة لذلك. **ثمَّ** رأيتُ من مقتضى هذا العلم معرفة مراتب العالم الكبير. **ثمَّ** كشفَ لي عن مخارج صور الحروف الغيبية العالية، وتجليات الحضرة الجامعة؛ وقال لي: لا تتناهى كلماتها، ولا منتهى لمعلوماتها. **ثمَّ** قال لي: في كل نفس للتجليات إمداداتٌ، وللإمدادات تجليات من العالم الغيبي والعيني حسب القوابل لها، مع وحدة التجلي. **ثمَّ** قال لي: العارف هو الذي رأى حقيقته معلوم الأشياء، والعالم هو الذي يسمع للحق. **ثمَّ** قال لي: العلم الإلٰهي حقيقة واحدة مجرّدة من الغيب والشهادة والقيد والإطلاق والحرف والصوت والصورة، وهي مرتبة: لا نعت ولا رسم إلا عند الظهور.

ثمَّ أطلعني على الفناء المطلق والتصريف بالعلم والعمل به، وأراني مرتبة الفقر المطلق والتعريف به بغير علم وعمل، وقال لي: وبه كمال نفوس العارفين بالله.

ثمَّ أراني مرتبة الجمع لهما، فإذا المباني الرسمية والمعاني الوهمية قد رُفِعَتْ عن الوجه وسقطت الإضافات، وبرز الشهود الغيبي، وأسفر صباحُ الحق، وطلعت شموسُ الحقائق الوجودية، وكشف غيوم أطوار الكثرة الكونية، ومُحِيت المظاهر من صور العالم، ونادى لسان القِدَم: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: الآية 16].

ثمَّ قال لي: ادخل دار الفردانية من الصفات، وكشف لي عن معاني أوصاف

الكمال، وقال لي: معنى الكلام عبارة عن تجليات مظاهر القدرة والإرادة بشؤون المعارف الإلٰهية في دائرة الأسماء. **ثمَّ** كشف لي عن معاني السمع، فرأيته عبارة عن تجلي حقيقة الكلام، بصُوَر مظاهر الغيب. **ثمَّ** كشف لي عن معنى البصر، فرأيته عبارة عن تعلق العلم بالعين في حالة الشهود المعقول. **ثمَّ** تجلّت حقيقتهم الجامعة، فإذا هي ذاتٌ لا تُدرك بصورتها كرؤية الشمس في صفائها. **ثمَّ** قال لي: هذا مقام جَمْع في عين التفصيل. **ثمَّ** قال لي: والعالم كله قام من هذه الحضرة، وصيغته من مظاهر كلمات حروفها المنقوشة في لوح الوجود الكوني، المرقومة بقلم الاسم الظاهر.

ثمَّ كشف لي عن تنزلات أنوار القرآن من العرش المجيد إلى بيت العزَّة إلى قلوب التالين، تنزيلاً على ممر الأنفاس متحد النزول حال التلاوة على مستوى القلب للقارىء، **ثمَّ** قال لي: هذا غيث الأزل، هذا مطر الرحمة، هذا الماء الذي فيه حياة القلوب. **ثمَّ** قال لي: الماء على لون إنائه؛ والقلوب أواني تلك القطرات الفرقانية المتصلة بالنظرات الإلٰهية عند النزول.

ثمَّ كشف لي عن مراتب أولياء العلم الإلٰهي والكلام المخصوص بهم، فإذا هم درجات عنده. ورأيت درجة المتقين، فقال لي: هؤلاء باطن الحق، وهو صفاتهم الظاهرة، وهم باقون باطناً، فهو سمعهم وبصرهم ويداهم ورجلهم. وفي هذه المنزلة قال لحبيبه المصطفى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ [سورة الكهف: الآية 26].

ثمَّ كشف لي عن مقام المؤمنين، فرأيتهم ظاهر الحق، وهو باطنهم. وقال لي: هم أولو الألباب.

ثمَّ كشف لي عن المحبة، فرأيت المحبوب روحه، وإليه رواحه. **ثمَّ** قال لي: هؤلاء على هدى من ربهم وهم المفلحون.

ثمَّ كشف لي عن الصدِّيق، فرأيته هو الذي شهد حقَّه على كل شيء شهيد.

ثمَّ كشف لي عن العالم، فرأيته الذي هو في مَعْرِض العَرضِيات والجواهر، يلتمس من الدليل والبرهان مقالة بالنظر العقلي.

ثمَّ كشف لي عن العارف، فرأيته واقفاً على معرفة الذاتيات، مُقْتَبِس الكشف السليم الروحي والإلهام الصريح القلبي.

ثمَّ كشف لي عن مقام الروح المجرد وتعلقه في الأبدان، وكيفية سريانه في عالم الشهادة بأطواره.

ثمَّ كشف لي عن العوالم الوجودية في أكوانها، فرأيتها لا تتحرك إلا بتحريك الأعيان العلمية، ورأيت حركة الأعيان بحركة الأسماء الإلٰهية.

ثمَّ كشف لي عن حقائق الأسماء الإلٰهية، فإذا هو صراط مستقيم نُصِب لهداية الحكيم بين عالم الحدوث والقِدَم. وإذا مكتوبٌ على باب ذلك الصراط: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هُود: الآية 56].

❊ ❊ ❊

ـ 13 ـ

موقف السُّكْر

أوقفني الحق على بساط السُّكْر في حَانِ الأنْس بين إخوان الصفا، على دَكّة الوفا. **ثمَّ** قال لي: هاك كأسَ الصَّحْوَ عِنْدي! فتناولت بيدي شيئاً، فقال لي: هذا هو الوجود كله؛ انْظُر إليه في صورة كأس مُلِيء فيه ذوقُ كل شراب. **ثمَّ** رأيت فيه شراباً فحققته، فإذا هو مَحْضُ تجلي الأخلاق والصفات القديمة في الصورة الوجودية من الجسد الكلي. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى دوران هذا الكأس! فرأيته دائراً على مَرائي الذات الإنسانية. **ثمَّ** نظرتُ يَنبوع تلك الخمرة فيه، فإذا هو سُكِبَ من عين جارية، لا أين لها ولا كون، عاصِرُها يد الأفعال في دِنَانٍ تَسَوَّتْ من حكمة الحكيم الخبير. **ثمَّ** تناولتُ تلك الكؤوس من تلك الدِنان واحداً بعد واحد، فرأيتُ لكل كأس ذوقاً في صورة نشأة معنوية غير الأول عند المنازلة يصحو شارِبُها تارةً ويغيب أخرى. فإذا صحا رأى الكأس وصورته عينَ كونه ونشأتهِ الجسدية. وإذا غاب توحّد في معنى غربته. **ثمَّ** رأيتُ بين السكر والصحو صفةَ التساوي والاعتدال، **ثمَّ** قال لي: انظر إلى حقيقة شرابي عند اقترابي. أيها المنتسب! ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: الآية 19]، إن الذي أوجَدَ الحَبَّ وفلقه، هو ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: الآية 7]. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى نشأتك، حين خلقك ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفِطار: الآيتان 7، 8]. **ثمَّ** ناولني كأساً آخر، وقال لي: هذا كأس المعادلة والسّواء. فصيّرَني في نشأة أخرى حالاً، في سواء صورة مركبة، مستوياً في أعلى الاستواء، محتوياً بلا احتواءٍ أحوى.

* * *

- 14 -

موقف سر قيام الحياة بالذات الوجوديَّة

أوقفني الحق على سر قيام الحياة بالذات الوجودية، فنظرتُ إلى سريان وحدة الوجود، والتئام شمْل كل موجود. ثمَّ حققت بعين الاعتبار، فإذا أنا بمراتب الوِصال، ومنبع إنشاء الأرزاق للأعيان. ثمَّ قال لي: انظر دوائر الآلاء والآثار وحقيقة أحمالها. فتبصرتُ، فإذا هي قائمة في المرتبة الإنسانية، سائدة على كل ذات وجودية. ثمَّ قال لي: انظر إلى دوائر الفضل الإلٰهي، كيف أحاطت بقلب الإنسان الكامل. ثمَّ لمحتُ إحاطة القلب بالعروش الأسمائية، وأراني ما فيه من القوائم المعنوية الأربع، فرأيت: العلم والحياة والحكم والشهود؛ ورأيتُ دون كرسي العزَّة من العرش المجيد. ثمَّ شهدتُ عَمَد السماوات والأرض في ذلك القلب، وحكمة منشأ التدبير والتدبير بعقله ونفسه. ثمَّ أطلعني على أسرار البدء والعَوْد لدوائر الآثار وتنافر الأسماء. ثمَّ كشف لي عن دائرة الكون السفلى، وأراني صورة للعجز منه، وأشهدني في قيام الاسم الصورية، وحالة الابتلاء والاختبار، وأشهدني منه القوة الإرادية وسريان اللطف الخفي والنَّفَس الرحماني من الغيب المكنون والأفق المبين.

ثمَّ أوقفني هناك على سر السؤال والإجابة، وأراني حالة الفقر والفناء في تلك المنزلة.

ثمَّ كشف لي عن سر التنزيل والإرسال، وحكمة الوعد والوعيد، وحالة الاجتباء والاصطفاء ومقام الاختبار. ثمَّ أشهدني العمدة في ذلك بعد كشف السُّبُحات، فرأيت هناك صورة شاب، وجهُه الشمس نوراً، وحوله صُوَراً كالبدور والنجوم حسناً، وأشعة أنوارهم جاذبة لكل موجود، وبين أيديهم موائد وأوانٍ بفواكه مملوءة، وأثمار معددة، وأشخاص يأخذون من ذلك الفضل، ويفعلون ما

يُؤمرون. وقد أشغلني نظري إليه، وأدهشني حضوري لديه. فنظر إليَّ نظرَ داعٍ وشفيقٍ راعٍ. فسمعت صوتاً يقول: أرسل له الأمانة ـ بعدما هممت بالإقبال عليه، وكان بيني وبينه نحو عشرة صفوف. وإذا بشيء حمله ومَدَّ به يده إليَّ، فتناولته بكلتا يديّ، وهي آنية مملوءة من كل شيء، فابتلعتها لوقتي، وتيقظت لحسّي. فإذا أنا بالبيت الحرام طائفٌ، وقد حييتُ بحق المقام، وفي يدي كأس من زمزم، وما رشفته منه متمّم، وحمدت الله على ما شهدته من الخير المقدَّم.

* * *

ـ 15 ـ

موقف الأنانيَّة

أوقفني الحق على بساط الأنانية، **ثمَّ** كشف لي عن سرّ قيام النفس الرحماني والسرّ الباعث لروح الكشف والانتباه في القلب الإنساني. **ثمَّ** قال لي: انظر تخلُّق اسم: «أنا» في مرتبة «إنِّي» بنور البرهان العلمي والبيان النظري. فنظرت لنفس واحدة متبطِّنة لسائر الأنفس. **ثمَّ** كشف لي عن حكمة انقسام الرحمة وسر معيتها وسَعَةَ إحاطتها لكل شيء. **ثمَّ** رأيت حكمة التراحم والتعاطف. **ثمَّ** قال لي: هي جنة الذات. **ثمَّ** كشف لي عن سر الإدراك لسعة تلك الرحمة وسر قبول القلوب لها. وهناك أراني سرّ الحقائق، في السّعة والمضايق، ورأيتُ المهداة، وكيفيَّة قيامها في الرقائق.

ثمَّ كشف لي عن أسرار المؤالفة والمتابعة وحال المبايعة، وأسرار الأديان المختلفة بالألقاب. **ثمَّ** كشف لي عن بيت العزَّة، وأراني كيفيَّة تنزُّل الصحف والكتب المسطرة، وكشف لي عن أمم الحروف العالية، وتنزُّلها في قوالب الكلم المرموقة. فرأيتُ لكل حرفٍ سبعة أبطُنٍ، ظهر بها في أشعة أنوار القلب على اللسان، وقال لي: هي صور سبعة: الأولى الفهم، **ثمَّ** القبول، **ثمَّ** العلم، **ثمَّ** التجلي والنزول، ـ **ثمَّ** النطق آخر الصور. **ثمَّ** كشف لي عن مراتب طبقاتها، وعرَّفها لي، فقال لي: الأولى هي الحال، **ثمَّ** التحقيق، **ثمَّ** الحكم، **ثمَّ** البيان، **ثمَّ** الإخبار، **ثمَّ** السماع، **ثمَّ** الإيقان. **ثمَّ** كشف لي عن مراكز تَنَزُّلاتها في الثّقَلين، فرأيتها في السبعة أقطاب. وانفردتْ في القطب الغوث بالسبع المثاني، ورأيت دورانها في أفلاك التسعة وتسعين اسماً. وكشف لي عن قطب كل

اسم، وكيفية تهيمنه في ذلك الاسم، وأراني أسرار أنوارها، وشممت سريان طيب نسيم هبيبها من النفس الرحماني لقيام الوجود. **ثمَّ** رأيت حكمة الانتقال والاتصال واحتكام أمر الختم، وكشف لي عن حكمة سعة الساعات من علم الكتاب، وكشف لي عن إبطان المعية الذاتية وسريانها في سبق السوابق، ولحق اللواحق.

وكشف لي عن قيام أسرار حروف الألف، فرأيت قيام امتداد «الهمزة» بكل حقيقة خفيّة، و«اللام» بكل عالمٍ كوني جليّ، و«الفاء» بمعرفة كل معروف عند تعريفه. وقال لي: هذا السرّ لا يظهر إلا عند أفول قمر البشرية، وتجلي شمس الروحانية. **ثمَّ** قال لي: وفي ظهورها قوة «شين» المشيئة، و«ميم» الكلام، و«سين» السلطان في حجب السبْحَانية، وهي ظُلَلُ الغمام التي بها انجلى لأهل القيامة، وبالنور قيام «نون» النبوَّة و«واو» الولاية، و«راء» أحكام الربوبية في البشر لمظاهر مراتب الألوهة.

ثمَّ كشف لي عن تجلي الوجه المحيط، وعرَّفني منشأ أجنحة جبريل عند الوحي، وحققني في «قاف» قوته عند ذي العرش؛ وأراني موقفه من إسرافيل عند تلقيه القول من اللوح.

ثمَّ كشف لي عن معنى الذَّرة المذابة وسريانها في كل ذَرَّة. **ثمَّ** كشف لي عن العلم المنزل في الروح المرسل، وأراني عيوناً ناظرة إلى ربها، وحقق لي سر الازدواج والإيلاج، وهباء الأمشاج. وأشهدني تطرُّقه من بطن الغيوب إلى أظْهُر الشهادة. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى ينبوع ذلك، فرأيت نوراً، فقال: هو «نون» أنانيتي. وهناك شهدت أسرارَ الحل والعقد. وكشف لي عن سر «ياء» الأنانية، فإذا بنقطتيها قيام القوَّة والقدرة، ومنهما سيلان البرين والبحرين. **ثمَّ** كشف لي عن غوصان الولاية هناك، واستخراج جوهر المعرفة منهما. وكشف لي عن مرآة بين البحرين، فرأيت فيها وجه الروح المروّح للأرواح المنوِّر للأبصار، وأدركت انتشار فوحان الجلال والجمال المعطّر لكل كون بشري.

وقال لي: وبه تكون القوى المنفوخة، في اليافوخ. وقال لي: جعلت لصاحب هذه المرتبة جبريل الإلهام، وإسرافيل الوحي، وميكائيل الفهم، وعزرائيل الكشف، حافِّين بعرش قلبه النوري لقمع عزازيل الوهم بأبابيل العلم اللدُّنِّي.

ثمَّ كشف لي عن سر قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية 16]، وقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية 16].

* * *

- 16 -

موقف القطبيَّة

أوقفني الحق على بساط القطبية، وقال لي: الإنسان الكامل قطب الشأن الإلٰهي؛ وغوث الآن الزماني. أول ما أسْلِم له: التصريف في قطر نفسه حتى يبلغ الأشُدَّ؛ **ثمَّ** أسْلِم له ما وافقه من أقطار الأقاليم. **ثمَّ** أسلم له الأرض، **ثمَّ** يسلم له الملك، **ثمَّ** يجمع له الملْكِ والملكوت. وهذا هو النائب الرحماني. وقال لي: القطب يعرفه كل شيء حتى أهل الغيب وعالم المحال وأهل الأرض البيضاء، ويعرض عليه أحوال العوالم، وصور أولى العلم حتى يَسِمها بطابع الرحمة ويَرَوْه بالبصر. وقال لي: القطب قلبه في كِنّ عالم الأزل، ومخدع الألوهة. وشخصه قبل كل وارد على الله في مركز الوقت على صفةٍ بين كل عالم في برزخ بين القبضتين والدارين، وبصره في أسرار الوجود ووجوه القلوب، وهو نكتة إنسان العين في الأبد والأزل، وهو المرآة لرؤية وجه الحق، وعنده مقرّ قاب قوسين، وقيام لواء الحمد.

وقال لي: القطب فاروق الوقت، وقاسم الفيض، وإليه مُفَوَّض أزِمّة الأمور. وقال لي: قلب القطب خزانة أرواح الأنبياء، وله بكل وجه وجه. وقال لي: أرواح الأنبياء خزائن أسرار الحق. وقال لي: الكون كله صورة القطب، وأنا ذاته، وبأنفاسه ظهور ألوان الشؤون الذاتية؛ وهو الباب الذي لا دخول ولا خروج إلا منه. وقال لي: فؤاد القطب شمعة نُصِبَتْ لفَراش أرواح العالم؛ وسِرُّه نهر بستان زهر نَحْل العقول؛ ونطقه شَهْد حقائق المعارف الذي فيه شفاء أسرار المقَرَّبين، وصلاح مشاهدة العارفين، وغذاء أفئدة الواصلين. وقال لي: نفس القطب صُوَرُ برزخ الشؤون الصفاتية، وعقله إسرافيله، ومن نفسه قيام عمود السماوات الروحية والأرَضين الجسمية، وإرادته المَأْثُرَة فيهما؛ ومن اختياره هِمَم أهل زمانه. وقال لي: القطب الفَرْد الواحد في كل زمانٍ

الحقيقةُ المحمديَّة. ولكل زمان قطبٌ منها، وهو خطيب سر الولاء بكلمة: بلى. وهو شمس عروس ﴿أشهدهم﴾، وساقي عُشّاق أشواق: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 29]، بأقداح راح: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾ [النِّساء: الآية 80]، ومُشَنِّف سمع الجمع بلذيذ لحن: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 109]، ومقيم شميم المحبين برَوْح نسيم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: الآية 4]، وحاكم معالم الوجود بسلطان: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4]؛ وهو كوكب ليل الفلك، وقمر سماء الملك، ونقطة حرف كلمة سورة الكتاب المبين.

* * *

- 17 -

موقف التصريف

أوقفني الحق على قيام التصريف، وقال لي: انظر كنز القوَّة على المجاهدة وما فيه من الخصوصيات العالية. وكشف لي في سلوكه عن نتائج الخوف والرجاء المخصوص بأهل الاصطفاء. وهناك نشقتُ هبوب نَسمات الأحوال على أهلها، وأراني كيفيَّة ترددها على السالكين. **ثمَّ** كشف لي عن سر حفظ الوقت الدائم لأهل الحضور. **ثمَّ** رأيت كيفية طلوع شمس العلم في نهار القرب بعين القلب، وكشف لي عن حالة منشأ الأستار السبحانية، وحققني في الشهود في عين تلك الشمس. **ثمَّ** أُشْهِدْتُ منزل القطب منها وكيفيَّة انتقال الأقطاب في المقامات، وأبصرني منازلهم بعد الانتقال من الحس وقبل الوصول إليه.

ثمَّ أشهدني حالة الاستغراق ومقامات أهله، ولجج أَبْحُره، ومواجيد دُرَره الغامضة وكيفيَّة تناولها. **ثمَّ** كشف لي عن صورة المحبة وحالة انطباعها في الأرواح السليمة وتعلقها في العقول الصافية. وكشف لي عن منشأ كنزها، وكيفية تعلقه بالذات الأحدية واتصافه بها حين الخلق. **ثمَّ** عرَّفني حالة طلب وجود العالم في حضرة العلم والعين، وحققني بالمواهب والتصرُّف الأول، وعرَّفني كيفيَّة العَزْل والتولية لأهل المناقب وحالات اكتسابها. **ثمَّ** ناولني زمام الإرادة، وأشهدني تجزىء الاختيار، ومقاماته في المريدين وارداته من المراد. وفَتَح لي قُفْل منزل الأستاذية، وولَّاني مفاتيحه الغيبيَّة في دار القربة، وأجلسني على بساط الأنْس والمباسطة، وأدار في مجلس الصحبة كؤوس العشق بأيدي حُورِ الموارد في مقصورات مخادع المشاهدة. **ثمَّ** قال لي عند الشمول: ها أنت عرش الفوقية، وإليك شرع الاقتفاء، وفيك التجليات الدينية.

ثمَّ كشف لي عن مراتب العقل الإنساني ومنازل تجلِّي القرآن فيه، ومشارق

شموس آياته، ومغارب قيام الجسد بأوانه، ورأيتُ مراقي المناجاة، **ثمَّ** طمح النظرُ لقبْلة الوجه في معراج تلك الصلاة، فرأيتُ لكل قصدٍ سُلّماً. **ثمَّ** كشف لي عن مراتب الرسالة ومناصب الولاية، وأراني مقعد الصدق. **ثمَّ** حققني بحقائق الخلافة والنيابة، وأمرني بالتصريف، فرأيت أزمَّة الأحوال ومرابطها في باب العزَّة. وعرَّفني حكمة الحجب والوسائل. وأوقفني على كنز المدد ومجلس الاختيار وصفة الاختبار. **ثمَّ** سرني بغاية قصوى وذروة عليا، وقال: هذا منزل الوفا، وخانُ الصفا، ومنهل اللقا، وحوض البقا. **ثمَّ** أكساني حُلّة القدم عند القدوم من طور آدم من سفر العالم؛ وإذا بالحد في الصدر قد ارتقى مقرّ الذرّ على نمارق الوجود الذاتي وإليه ممارق الشهود، وقد حفه بوارق السعود، وسوابق العهود. فنهاني بالاصطفاء، وأوصاني بالاقتفاء؛ **ثمَّ** تلا: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾ [النّجْم: الآية 43]، قلتُ: حسبي وكَفى.

* * *

ـ 18 ـ

موقف الفناء

أوقفني الحق على بساط الفناء، فنظرت إلى الخلق وقد اضمحلت أوصافها عند تجلي الحق، ورأيت «الأهوية» قد عُدمت لما قام أمر الله وفعله. **ثمَّ** رأيت اضمحلال الأعين بكل عين، وتَجَلى نجم إنه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88]. **ثمَّ** قال لي: هذا العلم أول البقاء، وآيته فناء كل شيء لاح من صور الكون. **ثمَّ** نظرت إلى اليأس عند ترك الإرادات والاختيارات وقد مُحِيت الأسباب وذهبت أحكام الأسماء الاقتضائية. وقال لي: علامة من طلب الفناء غيبته عن شهود الضر والنفع، وإذ لا يتحرك به ولا يجد فيه إرادة. **ثمَّ** كشف لي عن الطمأنينة والسكينة ونسبتها إلى النفوس البشرية، وفتح لي كنز الشرح للصدر وإنشائه، ورأيت عمارة الباطن بالغنى عن الظاهر. **ثمَّ** كشف لي عن سر يد القدرة المقلّبة للقوالب. وكشف لسمعي عن صوت لسان الأزل حتى إلى الأبد، وسر قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾ [غافر: الآية 16]. **ثمَّ** عرفني اليوم الوحيد المخصوص بالله، وقال لي: هذا اليوم يومي، ليس فيه شركة لخلقي. **ثمَّ** كشف لي منزل التوحيد حتى لاح نور اليقين، فرأيت أوله بوارق الاستعداد في مقامات الشوق، وآخره طوالع الامتداد في منزل العشق. **ثمَّ** أراني مقامات الصُّوَّام من منزل الصمديَّة، وكيفية فطور صيامهم عند اقتباس رؤية غيوث مشاهدتهم. **ثمَّ** رأيت طرق الوصول، وقال لي: هو خطوة إلى السلك وأجزاء منه. **ثمَّ** كشف لي غاية البقاء والفناء من البرازخ، وأطلعني منها على برزخ الأرواح، ورقّاني منه إلى منزل «سورة الإخلاص»، وفيه يبقى للعارف عينان من بين يديه ومن خلفه. ورأيت فيه

أهل الطاعة كالنجوم، وأهل المعرفة كالأقمار، وأهل العشق كالشموس. **ثمَّ** كشف لي عن كنز الخفاء وجواهر معارفه، ومعارف مواقفه، وحققت هناك: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة: الآية 7]، ومنه ناولني كأس الدعوة بشراب الأنانية على سماط النيابة فوق نهر الولاية دائراً ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عَبَسَ: الآيات 13، 15]، فلما شربته تيقظت مني لحِسِّي، وحُجِّرت في جنسي.

* * *

- 19 -

موقف الغوثيَّة

أوقفني الحقُّ على مقام غوثيَّة الوجود وسِرِّ الإغاثة لكل موجود عند خروجه من بحر العدم. ثمَّ كشف لي عن المعارف الغوثية وأرواح مشاهدها في الشاهدين، وتحققتُ أسرار الصمدانية عند شهود أنوارها. ثمَّ قال لي: انظر تفرُّد الولاء، ومسالك أهله ومعارجَ شرائعه وتمسكات عُرى الإيمان بأهل مبادئه. وانظر سلالمَ التوكُّل واعتماد المجاهدين فيها. وانظر درع الرضا ومحارمَ سيوف الشوق والعزم. وأراني حضرة المقاصد وأنهارَ شراب العز والإحسان، وأدخلني منزل المنازل، وأراني طرق الوصلة والقربة إليه للمتقرّبين من أهل الصفوة؛ وفَتَح لي حَانَ الولاء، وفيه رأيت شجرةَ طوبى وحسن مآب. وأسمعني هناك محاسن أصوات أهل المحبة تترنّم بأفصح المدائح وأوضح المحامد. ورأيتُ نَشْرَ حُلَل الرضا وكؤوس الصفا، وهي دائرة على الواردين من أهل الكشف، وفيها شراب النور والرؤية ومخاطبة الأسرار وسِماط اللقاء ومؤيد البقاء على كرسي الارتقاء. فرأيت أعيانَ حقائق الوجود حافّةً بي. ثمَّ رأيت تجلي الوجه الأحَدي، وإحاطة المعاني بجهاته. ورأيت شؤون تجليات جماله، وستور جلاله. ثمَّ رأيت الهوية ومحاسن إلا هُوِيّة من مظاهر الألوهية في حضرة الأنْس وحظيرة القُدْس. وكشفَ لي غيومَ الأوهام عن شموس أسرار الظهور وسر قيام الحياة في المظاهر. ثمَّ رأيتُ عهودَ الديانة والوفاء لأهل الصدق منها.

ثمَّ أُتِي بخِلْعَة الغوثية، وقيل لي: هي لبسٌ جديدٌ في كل آن. وأفرغ لي شراب العزّ بكؤوس الحب؛ وقلّدني بسيف السرّ، وحَمَل بين يديّ علم العالم ولواءَ الأعلام، وأتى لي بحصان القوة وزِمام التصرُّف مع جند الطاعة والإذعان،

وطومار المعارف يُتْلى في مواقف المشاهد. ثمَّ قال لي: سِرْ بسم الله، وادعُ إلى الله على بصيرة بإمارة أشرف الرُّسل. وفتح لي باب الغوثيَّة، فخرجتُ منه، وعليه حاجب: لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم، وجيوش: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ونشر سر: ما شاء الله كان. فتسربلت بالشان، وأُمرت بنداء الأمان، وضُرِبَتْ طبول: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الصَّف: الآية 13]، وزعق نفير: المُلْك لله.

* * *

ـ 20 ـ

موقف الحقيقة المحمديَّة

أوقفني الحق على مرتبة بيان الحقيقة المحمدية، وكشف لي عن حقائق الأسماء في مسمياتها العلوية. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى كل اسم من حيث صورتُه ومعناه! فرأيتُ الأسماء الإلٰهية قامت في الأعيان الثابتة، وقال لي: هي أربابها. وقال لي رب الأرباب: الاسم الأعظم وسرّ الحقيقة المحمديَّة هو سرُّ قلبك وقطبُ وجودك.

ثمَّ كشف لي عن جملة التجلّي الأول ومظاهر التجليات ومجمع صور المربوبات، وقال لي: تجدها عند كمال التخلُّق بالعبودية الأتم. **ثمَّ** قال لي: وبها قيام سرّ الإمامة. وقال لي: والإمام هو القطب القائم في كل دور بخلافته العظمى ووراثته الكبرى. **ثمَّ** كشف لي عن روحانية الإمامين، فرأيت عبد الرب ناظراً دائماً في الملكوت، وعبد الملك ناظراً دائماً في المُلك، وهما على طرفي القطبية المحمدية. وقال لي: هما سرّ الاسمين الكريمين: الرحمٰن، الرحيم. وقال لي: القطب هو أينيَّة الأسماء وراكزة الصفات؛ وبه قامت أسرارُ الحروف وأينيتها. وقال لي: أينيَّة الحروف سر نفسه، وأينيَّة نفسه قام بكل ذي روح. وقال لي: الأرواح قامت بالقلوب، وهي حقائق الأسماء. وقال لي: القطب هو اليد الفاعلة، والوجود كله اليد القابلة.

ثمَّ كشف لي عن صور العقل الأول، فإذا هو شيء لا يُكَيَّف عند النظر، وكليات الوجود مندرجة تحت إشراقه. ورأيته قد قابل شيئاً مثله في الصورة، وقد اشتمل على الجزئيات، فقال لي: هي لوح القضاء، والدرة البيضاء. وقال لي: الحقيقة المحمديَّة هي الرحمةُ التي وَسِعَتْ كلَّ شيء، وهي أمُّ الكتاب، وحضرة العلم الجامع، وإنسان العِيان السامع. **ومنها** كُشِف لي عن أسرار النور والوجود

والعلم. فقال لي: كل ذلك مظاهرها وكلَمَتها الجامعة وصفتها الكاملة. وأراني خطاً فاصلاً بين كل حقيقة منهن، لتمييز المطلق من المقيد في الغيب والشهادة. **ثمَّ** كشف لي منها عن نار العشق الأزلي والاتحاد العيني؛ وأراني تعلقه في الهمم الإنسانية، وقال لي: هو إنشاء الإرادة، وبه توجه الحب؛ وقال لي: هو أصل كل موجود وعدته. **ثمَّ** كشف لي عن ينبوع ذلك، فإذا هي المركز والنقطة التي في فؤاد القطب المحمدي.

ثمَّ كشف لي عن جانب الوادي المقدّس من أيمن الشجرة، نار الكليم، وقال لي: هي شعلة نار الكليم من سيناء ياسين. وكشف لي عن سرّ ابتلاعها كل مُنْحَرِقٍ وكيفيَّة إبطاله وغاية حدِّه فيها. **ومنها** كشف لي عن سر نار الطبيعة الموقودة في النفس، وأراني كيفيَّة اطلاعها على الأفئدة وأسرار تكوينها في الطبع وتكوين الطبع بها، وكشف لي عن سر عرش الحقيقة المحمديَّة، وقال لي: هو القلب الذي هو بيت عزّتي ومخزن سري ومنبع نوري ومظهر سعَة علمي وسرير سلطة اسمي. وقال لي: قالبه الهيكل الذي بنيته بيدي، وهو مجمع البحرين، وقاب قوسين. وكشف لي فيه عن خزائن الرحمة وتنزُّل الآيات، وكيفيَّة حلولها من غير ممازجة، وسريانها في الأسماع والأبصار بسرّ التجريد في قوالبها. ورأيت حكم سريانها في مرآة الخيال وقيامها في مظاهر النبوَّة. **ثمَّ** كشف لي عن إحاطة الولاية بالرسالة والنبوَّة، وسر بقائها وعموم شمولها للخلق والحق. وأراني كيفيَّة إطلاعها في صورة القيد، وتحققتُ خصوص مراتب قربها وجمعيتها في مظهر الإسلام والإحسان. فقال لي: اختصت النبوَّة بالإيمان، كما اختصت الولاية بالإحسان. وقال لي: الولاية مرآة الوليِّ لرؤية مرايا وجوه الموجودات، وبها رَفْعُ حُجُبِ الظلمات، وتمييزُ كلِّ ماهية وهيولاها، وهي على حسب استعداد كل طالب. ورأيت وجوه السعي منها. وقال: في الولاية مجموع صور الأعيان الثابتة تحت تسخيرها. وقال لي: وبها يكون التجلي الذاتي والقصد الأول الأقدس.

* * *

- 21 -

موقف الانسلاخ

أوقفني الحقُّ على مقام الانسلاخ، وكشف لي عن البرازخ الخيالية والمثالية والعقلية وسر حدودها ومضايقها. وقال لي: الوليُّ ينسلخ من كل عالم إلى أعلاه حتى إلى الحقيقة المحمدية، **ومنها** يتنزّل في كل عالم حتى إلى صورته وحِسِّه. وقال لي: الإنسلاخ قوَّة تظهره وتخرجه من الخلق إلى الحق، ومن الدنيا إلى الأخرى، ومن كل عالم إلى آخر بالعلم تارة والعين أخرى. وقال لي: من زهد في شيء من الكون ما صحت معرفته فيه. وقال لي: معنى الفناء في ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [القَصَص: الآية 88]، والبقاء في ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88]. **ثمَّ** كشف لي عن أسرار الصلة والقرابة والرقائق الرابطة فيها؛ وأراني أشعة شمس الحقيقة المحمديَّة في الكل. وقال لي: أول ما أبرزت الحقيقة المحمديَّة نوراً، وجعلتُ مظهره في الخلق رحمة، وبه ختمتُ الأسرار.

ثمَّ كشف لي عن مظهر الجسم، وقال: به يكون قيامُ العلم والهداية، وبه وكلت العناية وارتباط الولاية. ورأيت مكتوباً عليه: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطُّور: الآيتان 2، 3] ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقِعَة: الآية 80] و﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: الآية 79]. وقال لي: وبه القسم في ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البَلَد: الآية 3]. وكشف لي عن شخص المسيح، وقال: هو الروح القدس. وقال: هو عن يمين الختم، والخَضِرُ عن يساره، وإلياس في مقدمته. وقال لي: هو سر اليتيمين في المدينة، وبه أسرار القرابة تجتمع، وله صحت الوراثة. وقال لي: هو المرآة لانعكاس أشعة شمس الرسالة والولاية، وجعلت مظهره بالحكم الجلي، وبه ختم الأمر العليّ. فطلبتُ منه زمن الظهور، فأشار

بالقرب المنظور في الحال المشهور. فأُقيمت الصلاة، فتقدَّم في المحراب علاه، وافتتح بفاتحة الكتاب مع جهر الخطاب، وقرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزّخرُف: الآية 61]؛ ثُمَّ ركع وسجد بالجماعة، ثُمَّ كرر القيام حتى إلى السلام.

* * *

ـ 22 ـ

موقف مفاتيح الغيوب

أوقفني الحق على سر مفاتيح الغيوب العنديَّة، فرأيت آثار الأسباب تجري بحركاتها. **ثمَّ** قال لي: انظر إليها! فكل مُطْلَق منها له وجه إلى القيد المسبب، كما أنَّ كل مقيّد له وجه إلى الإطلاق المجرّد. **ثمَّ** نظرت بالاعتبار للشيء الواحد هناك، فإذا هو من وجهٍ مطلقٌ ومن وجهٍ مقيدٌ. **ثمَّ** قال لي: ما كان للخلق فهو مقيد، وما كان لوجهي فمطلق حتى عن الإطلاق. **ثمَّ** قال لي: كل مدرك فمقيد، إلا ما كان في مقام الأحديَّة.

ثمَّ كشف لي عن مقام الأحدية، وقال لي: هذا جَمْع الجمع في مقام ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجْم: الآية 9]، ويوم الطامَّة الكبرى.

ثمَّ كشف لي عن مجلى حقيقة الحقائق في مقام الواحدية، وقال لي: هي غاية الغايات للمساكين، ونهاية النهاية للواصلين من مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النّجْم: الآية 9]، وبها جمع الفرق في مجمع البحرين.

ثمَّ كشف لي عن مَجْلى عالم الجبروت، فرأيت الأرواح القدسيَّة سابحة في أنهار الصفات.

ثمَّ كشف لي عن مجلى عالم الملكوت، فرأيت أسرار: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: الآية 5] قامت برتبة الربوبيَّة.

ثمَّ كشف لي عن مجلى عالم الملك، فرأيت صور المواليد عالم الحس وغرائب صور المثال والخيال، **ثمَّ** قال لي: وعنهما كثرة أنواع الأجناس تنمو كل آن بلبس جديد.

ثـمَّ كشف لي عن مجالي عالم البرازخ التي بين الوجوب والإمكان والوجود والعدم. **ثمَّ** قال لي: ومن ذلك منشأ عوالم الجمال المطلق وطيف الخيال يتجلى من الهوية المطلقة إلى صُفّة الأهواء والأضواء المعنوية.

ثمَّ كشف لي عن الحروف العالية والسطور الأزلية وأراني مظاهر منازلها وأبراج كلماتها وانتقال شمس المعنى في سماء مسطورها، وهناك محو الموهومات لصحو المعلومات. وعن هذه المرتبة تقوم أحكام العبودية واكتساب الأخلاق الربانية والأوصاف المحمدية. **ثمَّ** رُفِعَ ضباب العادات وقشعت غيوم المقاطعات، فظهرت النفس، ورفعت عن خصال الرسوم والأخذ من الرقوم، وأشرقت بقوة أسرار الاتحاد، وتوحّدَتْ بالأخلاق المعنوية من سر الوحدة وإزالة ليل الكثرة.

ثمَّ أعطاني هناك مفتاحاً خاصاً، من سر الاندراج للأشياء عند رؤية العين، ففتحت به مغالق الأبواب مع الترقي في غيب الغيب والتدلّي لعين الأين، وشهدت كل شجرة كونيَّة مندرجة في ذرة نواتها المشهودة. وهناك أشهدني مراتب الملائكة المهيمين وطبقات قرباتهم وأطوار ما ينتهون إليه من التجلي في عالم الألوهية. وهناك لحقني أسرار الدَّهَش ومقامات الحيرة لما كشف لي عن طبقات إيمانهم. وأراني طبقات إيمان أهل الحس وطلبهم معرفة الرب من عالم الأنس. وحققت توحُّد إيمان ذوي العقول في غيب وَحْدة أحديَّة الحق الصِّرْف.

* * *

ـ 23 ـ

موقف سفر السالكين

أوقفني الحق على نهاية سفر السالكين، وقال لي: هذا مقام الولاية، وهو انتهاء سفر السالكين إليَّ. وأول السلوك الخلاص من القيود، وهو إزالة أزل العين الظاهر. وقال لي: السلوك عبارة عن الدخول في المقامات الشهوديَّة، والمنازل الوجوديَّة، والحضور في المراتب الغيبيَّة، والدرجات الكشفيَّة، ولو بصورة العلم. وقال لي: تمتحي صورة العلم عند العين، والشوق أوله والعشق آخره. وقال لي: الأسماء صور معقولة في حضرة العلم الذاتي. وقال لي: العلم هيئة معنوية كليَّة قابلة للفيض الذاتي الأقدس. وقال لي: الأقدس هو البريء من شوائب نقائص كثرة الإمكان. وقال لي: كلٌّ تجلٍّ أول ظاهرٌ بمفاتح الغيب من حضرة القدس. ثمَّ نظرتُ حضرة الأعيان، فإذا الاسم الباطن في الوجود الذهني قائم بصورة العلم، والاسم الظاهر في حضرة العلم والعين محيط. وقال لي: كل عين ثابتة في العين، محيطة بماهيات الجوهر والعَرَض، وإليها نسبة الجمع والفرق.

ثمَّ كشف لي عن قيام حقائق الأعيان الثابتة، فرأيتها قائمة في المواجيد كقيام الروح في البدن. ثمَّ كشف لي عن سر البرزخ القائم بين الجوهر اللطيف الروحاني، والكثيف الجسماني، فرأيته معنى ثالثاً، وبرزخاً جامعاً، وعالماً ثابتاً في الوجود، وعند الشهود يكون وجوده. ومنه كشف لي عن الظلال الساجدة في السموات والأرض؛ وكشف لي عن سر قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلك: الآية 3].

ثمَّ كشف لي عن برزخيَّة الإنسان الكامل، وقال لي: هو الوجه لكل وجهة، وهو مولاها، وهو الجامع لأحكام الوجوب والإمكان. وهو مجمع البحرين: أي

الظهور والبطون. وقال لي: هو صاحب درجة الاعتدال ومنصب النقطة والعلة، وهو سر الاسم الأول من حيث المعنى، والآخر من حيث الصورة. وقال لي: الإنسان طابع علامة الأسماء؛ وهو الختم المذكور بسرّ الإمْداد والاستمداد، وهو وارث الخلافة بمظهر الوحدة والكثرة.

ثمَّ كشف لي عن تاموره الأزلي، فقرأت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: الآية 29]، لمعنى قوله: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[1].

ثمَّ غُيِّبتُ في حضرة جبروتيَّة، فكشف لي عن الأشياء في النور الحقيقي، ورأيتها هناك بعين العلم، لا الصورة. **ثمَّ** قال لي: هي قوى رقائق الاسم الظاهر ومعاني مظاهره التي هي أطوار النور. **ثمَّ** قال لي: النور مُنَزّه عن الكون واللون وإضافة العالم.

ثمَّ رأيتُ النور الوجودي منه ناشئاً. وقال لي: النور الوجودي أصل فرع كوني. ورأيتُ الكونَ كله هناك نورٌ وظلمة. وكَشَفَ لي عن نورٍ برزخي بينهما متنوع البدع في الأجناس، وبه تميّزت مراتب الظهور والبطون، والنور والظلمة. وقال لي: فوقه غاية انتهاء السالك. وقال لي: لا يوجد هذا إلا عند تجلِّي غيب الوجود في هويَّة السالك، وذلك كمال بروزه فيه بالجلوة، فأوّله منازل الأعيان الثابتة، **ثمَّ** الأرواح اللاهوتية، **ثمَّ** عالم الجبروت، **ثمَّ** الملكوت، **ثمَّ** الأثير، **ثمَّ** الحس والمواليد، **ثمَّ** الطبائع والعناصر المعنويَّة كالخيال والمثال، **ثمَّ** إلى النفوس والعقول، وبه يتم النزول من ذات الوجود، **ثمَّ** يبتدىء بالعروج إليه من حيث الأحَدِيّة في مرتبة الفناء عن العالم.

وهناك رأيتُني كوناً جامعاً، فأقمتُ ولا زمان.

ثمَّ كشف لي عن الذات من حيث الربوبية، فإذا هي الطالبة في صور

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء الإسلام، حديث رقم (5873) [5/ 2299] ورواه مسلم في صحيحه، باب معنى قول الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ حديث رقم (177) [1/ 159] ورواه غيرهما.

المطالب مستورة في صورة العالم. **ثمَّ** كشف لي عنها في مرتبة الواحدية، فرأيت أسرار الأفعال قامت بآثار التجلي من مدبِّرات كواكب الصفات في ملكوتها. **ثمَّ** كشف لي عن انعكاس شعاع شمس تجلياتها في الكليات والجزئيات، وأراني أسرار إشراقها وغروبها في الأشياء.

ثمَّ كشف لي عن صورة القلب من حضرة الإنسان. فلما أحضرني به رُفِعَتْ حُجُبُ الأكوان وبرز الوجه الواحد، فشهدته؛ **ثمَّ** رُفِعَت الرؤية وتوحّد المعنى بعد رفع الأضداد الذاتية والأوصاف المتعددة. **ثمَّ** غُيِّبَت الأسماء ومسمياتها في صورة القلب، وكشف لي عن سر الاندراج وقال لي: انظر اندراج الأشياء في القلب الحقيقي كاندراج الجسم في الروح. **ثمَّ** هناك سُلِّم إليَّ قلم وطرس وسبحة جوهر الهباء، ومداد الهيولى فوق كرسي العناية. **ثمَّ** قال لي: هذا انتهاء السالكين، ونهاية سفر الطالب، وهنا يكون إسفار معناه.

ثمَّ كشف لي عن أسرار تنزُّل الروح الأمين على القلب المكين ومرقوم: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: الآيتان 27، 28]. **ثمَّ** قال لي: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية 12].

* * *

ـ 24 ـ

موقف معارف مناهج العارفين

أوقفني الحق على بساط مناهج المريدين، ثمَّ قال لي: العارف من جعلتُ قلبَه لوحاً منقوشاً بأسرار الموجودات، وأمددته بنور حق اليقين، وقال لي: اليقين نور يُدْرَكُ به حقائق تلك السطور على اختلاف أطوارها من أسرار الأفعال. وقال لي: الإدراك للمعاني سر خفي من أنوار القلب القابل للوُسْع الإلٰهي؛ فلا تقع حركةٌ ظاهرة ولا باطنة في المُلك والملكوت إلا ويكشفها ببصيرته الثاقبة بإيمانه وعين عِيانه، فيشهدها كشفاً وعلماً. وقال لي: العارف كونه في الملك كالشمس في الملكوت: لا يطاق النظر إليه. وقال لي: العارف هو الذي يُكْمِل الأعمالَ بالعلم، والأحوالَ بالسر، والأفعالَ بالأدب. وقال لي: العارف تارة يكون حاضراً بلطائف العلم، وتارة غائباً بشواهد الحقيقة؛ وبهذا هو الغريب بانقطاع النِّسَب والإضافات بينه وبين مولاه. وقال لي: غُرْبة العارف محُو الرسم وسقوط الأين، وهو الذي يكشف له عن بواطن الأمور، فيدركها جملةً بالكشف وتفصيلاً بالفراسة، فيخاطب الأرواح من حيث الوضع، والأشباحَ من حيث التركيب برموز الإشارات والعبارات الشرعية والعُرفية. وقال لي: جَمْع العارفِ سقوطُ تفرقته ومحوُ إشارته، ووصولُه استغراقُ أوصافه وتلاشي نعوته؛ وغَيْرة العارف أن لا يَعْرِف ولا يُعْرَف، فإنه من عرف أحداً لم يعرف الأحد. وقال لي: من خرج بالمعرفة إلى الخلق قبل وجود حقيقته فهو مفتون، ومَن بقي عليه مِن نفسه بقيةٌ لم يصل إلى الحرية. وقال لي: المقَرَّب مسرور بقربه، والمحب مستعذبٌ بحبه. وقال لي: الإخلاص هو أن يغيب عن السالك جميعُ الخلق في شهود حقه. وقال لي: مَنْ نَظَرَ المكَوَّنات نَظَرَ إرادة وشهوة حُجِبَ عن المكوِّن. وقال لي: ما بان عني أحدٌ من حيث العلم والقدرة، ولم يصل إليّ أحدٌ من حيث الذات والصفة. وقال لي: الإخلاص ما

خفي عن النفس درايتُه، وعن المَلَك كتابتُه، وعن الشيطان غوايته، وعن الهوى إمالته. وقال لي: العارفون عيشهم طيب في الدنيا: أبدانهم مُنَعّمَة بالتمتع بالأثر، وأرواحهم متمتعة بالنظر. وقال لي: العلم غُنْم، والصمت نجاة، واليأس راحة، والقناعة غِنى، والزهوّ عافية. وقال لي: نسيانُ الحق خيانةٌ، والاشتغال عنه دناءة، والحضور معه جَنّة، والبُعْد عنه نار، والقُرب منه لذّة، والحجاب حَسْرة، والأنْس حياة، والإيحاش موت، والخمول نعمة، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية 148].

* * *

ـ 25 ـ

موقف الأسماء

أوقفني الحق على بساط الأسماء، وأولُ ما كشف لي عن مرتبة الأحَديَّة. فرأيتها وقد استغرقت جميع مراتب الأسماء والصفات والخلق والأمر، فصُعِقْتُ ما شاء الله؛ **ثمَّ** أفقت فأثنيتُ على الله، فقال لي: هذا مقام جَمْع الجَمْع، ومنه حقيقة الحقائق. وليس هنا مِنْ حال القُرب والبُعْد والوصل والفصل.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة الواحديَّة. فبرزَتْ لي مظاهر الأسماء مستمرَّة الأعيان طالبة الحكم في حضرة الربوبية. وقال لي: في هذه الحضرة يكون النزول إلى سماء الدنيا في ليل الغيب، وبستر الربوبيَّة تعيَّنت مراتب الأسماء والأفعال.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة الهويَّة، فرأيتها تعيَّنت بالاسم الباطن. **ثمَّ** قال: هو ربُّ الأعيان الوجودية، وبه مَدَدُها.

ثمَّ كشف لي عن أصول الوجود، فرأيتُ الاسم: «الرحمان» على عرشه، قام على كل نفس. ونظرت إلى العرش فانجلى لي نور الأرواح عنه كالقناديل. وهناك رأيتُ «القلم» الأعلى و«لوحَ» القضاء و«أمَّ الكتاب» على دُرَّة من ذلك العرش. وقال لي: هنا مرتبة الجمع والتفصيل.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة الاسم: «الرحيم»، عند كرسي الإرادة. وعنده رأيتُ اللوح المحفوظ، لوح الإرادة، ومنه أشعة أسطر علم الحق تلمع من حروفه العالية. وقال لي: منه تعيُّن مرتبة الجلال والجمال وتنزُّل الكتاب المبين.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة المحو والإثبات، فلاحت لي مظاهرُ النفوس المنطبعة واستعدادات أجسامها، وخزائن أرزاقها، ومراتب السعادة والشقاوة

لها. وهناك رأيت الهيولى القابلة، وعرّفني حكمة النشأتين، والتدبيرَ في ذلك.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة الاسم: «العليم» و«المصوِّر»، فرأيت الأنفاس الروحيَّة والأنفس الناطقة بارزة النفخ من حضرتها، وأراني حكمة النفث من روح القدس وسر الأصوات المائرة والأرواح المجردّة والعقول الكليَّة ناشئة كلها من حضرتيهما.

ثمَّ كشف لي عن الخيال الصوري، وأراني كيفيَّة قيد الأرواح به وبعثها منه. وقال لي: كل ذلك مِن حضرة الاسم العليم والمصوِّر.

ثمَّ كشف لي عن مرتبة الاسم: «الظاهر»، فرأيتُ عالم الشهادة ودوائر الظهور في الأجناس والأنواع: أعراضها وجواهرها. وقال لي: كل جوهرٍ ذات في نفسه، وكل عرض صفات فهو من حضرة الاسم الظاهر وإليه معاده. ثمَّ نظرتُ إلى مرتبة الإنسان من الاسم الظاهر وكمون مراتب الأسماء والصفات في وجوده، وكشف لي عن تجلي حكم الألوهة والربوبية بقيام عينه. وقال لي: كونه الجامع وهو النسخة المنتخبة من الكون.

ثمَّ تجلت لي الآية: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾ [المُلك: الآية 3]؟ ثمَّ ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾ [المُلك: الآية 4].

ثمَّ أتى لي بدابة فركبتها وأُعْطِيت زمامها، ولها أجنحة كثيرة الحركة. فسفرت لحِسِّي بين أبناء جنسي.

ثمَّ غلق باب سماء الأسماء، وقيل لي: سِرْ باسم الله، ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 115]. ونادى منادٍ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 126]. ولما انقلبتُ لأهلي، وشعرت بخزوي، صرتُ بنور الله سميعاً بصيراً، وأنبأتُ لمن كان مطيعاً، وناديت بلسان الأسماء: يا أهل الأرض والسماء: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 148].

* * *

ـ 26 ـ

موقف إيجاد الروح

أوقفني الحق على مقام إيجاد الروح فرأيته مباشرة أَمْرِهِ بنعت الفيض الأول على عرش الألوهية. **ثمَّ** كشف لي عن صنعها، فرأيته عند تجلِّيه بذاته لذاته لرؤية مظهر صفاته في كون جامع. **ثمَّ** قال لي: هي تلطف تولد الجمال والجلال عند امتزاجهما لظهور صورة الكمال. **ثمَّ** قال لي: كان وجودها من حضرة العلم والإرادة في منزل القضاء والحكم بمظهر القدرة.

ثمَّ كشف لي عن الروح، فرأيتها في صورة معناها بالبصيرة مجمع محاسن الأوصاف الذاتيَّة وهي قائمة بسناء التقديس من شعاع شمس المحبة والمعرفة. **ثمَّ** كشف لي عن مادتها، فإذا هي مجمع نعوت الأسماء الذاتيَّة والصفاتيَّة عند ظهورها من الغيب المطلق. فصورة العقل البسيط عند خروجها من الكاف والنون. **ثمَّ** قال لي: والعقل اسم أول مظاهرها. **ثمَّ** قال لي: الكاف هي الإرادة، والنون هي القدرة، **ومنها** بروز كل كون وجودي.

ثمَّ كشف لي عن صورة الروح هناك، فرأيتها مزينة بزينة الأنوار، مُجَمّلة بلباس حُلّة القِدَم، طائرة في الجسم بأجنحة الديمومية. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى صورتها! إنما هي مجموع الأسماء والصفات بنيت بأيدي الأفعال الذاتية. **ثمَّ** قال لي: وبهذا خرجت عن الحد والكمية وقيد كيفية الكون.

ثمَّ كشف لي عن قوة سريانها في العوالم الجبروتية والملكوتية والناسوتية. وقال لي: إنما هي بقدرة كلمات الجلالة وسر معاني الرحمان الرحيم. **ثمَّ** كشف لي عن قيامها بالأمر الإلٰهي، وقال لي: إنما قوَّة فعلها به، وبه استقرَّت من الأزل. **ثمَّ** أراني تنقلها في الأبراج والمنازل والأفلاك الكورية والأدوار الزمانية. وعَرّفني انتقالها من كل صورة كونيَّة ناسوتية إلى

أخرى بصفة غير الصفة الأولى مع توحُّد العين، حتى إلى الإنسان؛ فكانت كمصباحٍ في مشكاة تَمَّ إشراقه. ثمَّ قال لي: وكمال تجليها بالاسم الرب النور. ومن هذه المرتبة عَرَفَتْ بارئها، ولتأييده إيّاها بالقربة الكاملة إليه هَنّأها؛ ثمَّ عرفَتْ نفسها بمجموع صفات العبودية. وقال لي: صفات العبودية هي مرتبة الخضوع للخالق تعالى. وقال لي: لما خَرَجَتْ الروحُ من الغيب كانت لابسةً أنوار التوحيد، وناظرةً بعين المعرفة التامة لبارئها، ولا زالت مشاهدة في كل عالم حتى في عالم الشهادة. وقال لي: عالم الشهادة جُعِل محل جلوة الروح بأصناف الصور المعنويَّة والحسيَّة بنفسها على نفسها مزيَّنة بالآداب الألوهية، وخروجها لقيام العبوديَّة، وإسكانها القلوب القابلة الإنسانية إنما هو لمشاهدة التجلِّي، والمعرفة للمتجلِّي بالنور الأزلي. ثمَّ قال لي: وبالنور الأزلي طبِعَتْ وبتلك الأنوار تحبَّبَتْ لأهل الإيمان، وكانت السفير بالنفحات الربانية والقربات الأنْسية في كل نفس. وقال لي: الروح هي المرآة لانطباع الوجه من الجهتين، وبها يرى الوجه على حسب منزله ومقامه ومعناه الباعث له.

ثمَّ كشف لي عن سر سكون «نون» الإنسان الأول، ثمَّ قال لي: وبهذا السكون كان ظهوره بحقائق الأكوان وقوابل العوالم من العلم إلى العين بالمعنى والصورة. ثمَّ قال لي: الروح الإنساني هو الاسم الأعظم على سائر المظاهر الأسمائية؛ و«ياسينه» كان سَفَرُ إسرافيل وجبريل بالأمر الإلٰهي. ولسلطانه سخّر الله ما في السماوات والأرض جميعاً منه، وعليه مدار الدنيا والأخرى، والجنة والنار، واللوح والقلم، ووجود كل شيء.

* * *

- 27 -

موقف الفقر المطلق

أوقفني الحق على أسرار الفقر، وقال لي: الفقر سرٌّ لاحقٌ لكل موجود ومعدوم في الخلق، وعند شهود الكون يكون وجوده.

ثمَّ كشف لي عن عزَّة القدم الأعلى وذلَّة العدم الوجودي. **ثمَّ** أراني العشق الإنساني منزلةً بينهما، وقال لي: وبه كان ظهور العدم وعدم الوجود، وهو عرش الإمكان.

ثمَّ كشف لي عن سر التوحيد ونسبته إلى الله تعالى، وسر المعرفة ونسبتها إلى الإنسان؛ وأراني المحبةَ علاقةً بيننا وبينه، وفيها رأيتُ تعيين المراتب بأجمعها.

ثمَّ كشف لي عن الفناء المطلق الذاتي ونسبته إلى مراتب الأحدية خاصة. **ثمَّ** رأيت حضرة الفقر محيطة بطرفيه، ولما كشف لي عن الفقر رأيته احتياجاً ذاتياً بلا تعيُّن. ورأيت فيه مراتب: مراتب جلاليَّة وجماليَّة. ولما كشف لي عن الفقر الإنساني رأيته صراطاً مستقيماً بينه وبين ربّ العالمين؛ وبه الكمال المطلق.

ثمَّ كشف لي عن الوجه وسواده الأعظم، وقيامه به في الدارين. **ثمَّ** قال لي: وبه سيادته عند عدم السواد. وقال لي: أغنى الأغنياء مَن بدت له حقيقته من حقه؛ وأفقر الفقر من سُتِرت عنه حقيقته. وقال لي: الفقر أمارة على التوحيد، ودلالة على التفريد. وقال لي: الفقير مَن لا يشهد سواه، ولا يرى إلا إياه. وقال لي: الفقر فخر ما دام مستوراً، فإذا ظهر ذهب نوره.

ثمَّ كشف لي منه عن منزل الألوهة، وقال لي: هذا محل الأمانة لتأدية كلٍّ ذي حق حقّه. **ثمَّ** قال لي: انظر إلى منزل نَفَس الرحمان! فرأيت كل رقبة قامت في الكون لها رقبة منه، فإذا جاوز الشيءُ حده من نفسه ظهر ضدُّه. **ثمَّ** أراني

الحقيقة الجامعة للأضداد من الذات الإنسانية. **ثمَّ** قال لي: وبه مجمع الأضداد، وفيه منزل الحرية، إذا وصله السالك وجد الفناء المطلق.

ثمَّ كشف لي عن نسبة الفقر إلى الإنسان، فرأيته يتعلق ببشريته حتى إذا بدا منزل الغنى من روحه الأعظم تَمَّ فقرهُ، ودام دهره، ولَقِي ربه، واستراح قلبه.

* * *

ـ 28 ـ

موقف الاصطفاء

أوقفني الحق على مقام الاصطفاء، وحقّقني بتصفية اللطيفة الإنسانية من الوراء، وتخلُّقها بالحقيقة الأولى، وقال لي: كل ذلك عِلّته المعرفة لذوي الحجا.

ثمَّ كشف لي عن مراتبهم في مقام الوليّ، وأراني كتاب كل فردٍ منهم، وما قُدِّر فيه من أسرار القضاء؛ **ثمَّ** أشهدني ترتيب الحقائق وبروزها بالوجود إلى الدنيا وكيانَ أعيانها من منازل السخط والرضا. **ثمَّ** قال لي: كلها علل وأسباب لوجود الخليفة في مظهر الصورة الإنسانية في الملاء.

ثمَّ كشف لي عن الطرق التي شرعها لسلوكْ العقلاء، وأطلعني على ما في مبادئها وغاياتها من صور المطالب المعشوقة للطالبين من الظلال والهواء. **ثمَّ** قال لي: هي دواعي صفاتي لعودتهم من موطن ذاتي.

ثمَّ كشف لي عما هنالك من صور المكر الموجب للوقوع لهم في الخطأ والحالة الموهمة للصواب؛ وما السر الذي يوهم السالك بحالة المتاب. **ثمَّ** عرّفني المخادعة لهم في صور مطالبتهم إياه، وحقّقني منزل القربة للروح القدسي، والمنزل الأنفسَ للعقل الكلي، والمحل للروح الأعظم؛ وأراني الأرواح البسيطة والمركبة وكيفيَّة استمداداتها من روح القدس، وهو من الروح الأعظم. وقال لي: الروح الإنساني أخصُّ مسكنهِ وأكرمُ مكمنِه. وقال لي: الإنسان الكبير هو الثمرة من عرش الشجرة الكونية، وهو الوجه الذي به عُرِفت الصورة الوجودية، وبه خُصَّ شهود معرفتها.

ثم كشف لي عن سر دقيقةٍ في قلب الإنسان الكامل كالشمس في فلك البروج. ثمَّ قال لي: إليها نهاية عروج السالك في نفسه. ولم أتمالك النظر إليها.

وكشف لي عن كل دقيقة كونيَّة، فإذا هي منجذبة إلى تلك الحقيقة. **ثمَّ** قال لي: هذه مِرْآتي لوجهي، وهي أول تَجَلٍّ برز وبرق في الخلق الأول. ولما نظرت المرآة رأيتُ وجهاً ينظر نفسه في مرآة صورِ الموجودات سارياً في رقائق الكون، جامعاً لحقائقها، غير متجزِّىء، نامياً على صراطه المستقيم حتى إلى عين تلك الشمس المستوية في عرشها المحيط الجامع لعالم التخطيط.

ثمَّ سمعت صوتاً من عرش الألوهة يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115].

ثمَّ كشف لي عن شجرة العلم، فرأيت فيها لوح الآيات عند سِدْرة المنتهى. وهناك رأيت عواصفَ أرياحٍ تهب بنفحات الجود، وأطلعني على كل سر مقبول، وقال لي: إلى هنا ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: الآية 10]؛ ومن هنا يتنزّل الأمرُ على مَن يشاء مِن عباده. **ثمَّ** قال لي: كلُّ سرٍّ وجودي وتَجَلٍّ شهودي ينزل على عقل إنما هو من هذه الحظيرة القدسيَّة يُلْقى، وإلى سُوحها يَرْقَى. وقال لي: كل التجليات عندها تكون مِن مقامات البسط والأنْس في مظهر الجمال المطلق، وعندها تحصل الرؤية والكلام من غير دَهَشٍ؛ **ومنها** إذا رَقِيَ السالكُ ينكشف له النور القلبي، يخلع عليه الخِلَع من حُلَل الأرض البيضاء، وعندها ترك قوالب الخلق والأمر. وقال لي: والراقي هذا المقام يعطى أسرار صفة الكلام، فلا يسمع نطقاً إلا ويدركه مِن كل شيء، وهناك تنتهي الأصوات الوجودية، ولا يحجب عن الواصل هناك صوت علوياً كان أم سفلياً. ومن ذلك المقام يكون السير في الله بالله. ورأيت هناك وجود أمة الحروف العالية، وقال لي: هي مثال لكل شيء وجودي في الملك والملكوت. وكشف لي عن سرّ قوت أهل ذلك العالم. وقال لي: هو من ريح فَوْح زهر أغصان سِدْرَة المنتهى وإثمارها لمن يليهم من العوالم. وقال لي: يتفاضل أهل هذه المرتبة في الرزق كما يتفاضل أهلُ كل عالم ومنزل من أهل الحس والمعنى. وهناك أضفت النّبْق. وأراني الحقُّ هناك بعض مقامات الغامضين من أهل المعرفة، وكشف لي عن مصباح الإيمان يوقد عند ساق العرش الرابع عند جنة المأوى.

ثمَّ نزلنا فلك الكواكب من الأطلس والبروج والمنازل، فرأيت أنوار الكل من ذلك الكوكب تُقْتَبَس. وهناك أطلعني الحق على كنوز أسرار ومواهب أنوار ومفاتيح خزائن أسرار الأسماء لمسمياتها. ومررنا على مقامِ أحمى. وقال لي الروح: هنا مقام المحمود، وهذا الطِّلسْمُ على الكنز المحمدي، وعنده فتح لي مقام الصَّفْوة، وانجلت لي منه القوابل الروحيَّة ومحالّها في صفحات الزمان والمكان والأعيان. وقال لي: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجر: الآية 75]. ثمَّ تجلَّت لي منه السبعُ المثاني، ورأيت حقيقة قيام القرآن العظيم في ذلك المقام الكريم. ثمَّ نوديتُ من ذلك النهج القويم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشّورى: الآيتان 52، 53]، فقد اصطفيت لسرّ الجمع، واستخلصت بحقيقة البصر والسمع؛ فأنت أكرمُ آية وسورة، وأتمُّ خاتم بدوره.

ثمَّ أُمرت بفتح باب أبكار المعارف لكل عارف، وفيض أنواع اللطائف لكل واقف.

ثمَّ أُجِزْنا بالسير، فمررنا بأسرع من طَرْفة العين من عالم المعنى والخيال على بُرَاق الهمَّة والترحال، ودخلنا دار الحس بين عالم الإِنْس.

* * *

- 29 -

موقف الجنَّات

أوقفني الحق على معاني الجنات، وقال لي: إنما هي صفات مجالي النفسية، أعددتها مواطِنَ لعبادي المقرَّبين. فأول ما أُدخلت دار الجلال، فإذا هي من لؤلؤ أبيض محيطة بكل الجنَّات. وإذا بها عين ماء، مشعبة منها لكل جنة شُعْبة، ولكل شُعبة طعم ولون وريح، وقال لي: هذه عين الحياة الأبديَّة. وكل تحقيق يقع في قلب عارف إنما هو من قطرة أو نفحة أو لمعة من هذه الجنة. وفيها أعددتُ للعارفين: «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**»[1]. وقال لي: اشْرَبْ! فتقدمتُ لأتناول إناءً ذا كؤوس موضوعة ونمارق مصفوفة؛ والكؤوس تمتلىء وتدور من نفسها. فتناولت كأساً قابلني، فشربتُ منه شيئاً لا شبيهَ له في المشارب والمطاعم والروائح، إلا أنه كالمصباح الذي يسرج في مكان واسع حين دخل جوفي. ورأيت فيها مقامات العشاق والأشواق، طائفة عليهم صُوَرٌ حسان مُزَيّنة بأنواع الزينة، وأهلها سُكارى في أنفسهم لا يتعقلون الداخل أبداً؛ ورأيت أكثر أهلها المسلمين من أهل المِلل والنِحل.

ثمَّ سألت الروح المتلقي لي عند دخولي عن الله، فقال: إن الله يتجلى لأهل هذه الجنة كالغمام، فيخاطب أهلها برُسُل من الملائكة، وفيها من كبار البشر بعضُ الرُّسل.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في صفة الجنة. . .، حديث رقم (3072) [3/ 1185] ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم (2824) [4/ 2174] ورواه غيرهما.

ثمَّ دخلنا طبقة أخرى تنوف عن أربعين درجة إلى فوق؛ وهي مبنيَّة من الياقوت الأحمر، أعظم ارتفاعاً في الجو. وقال لي الروح: هذه الجنة! أُسُّها العلم وتُعرف بالفضيلة. وهي دار السلام، وفي ربضها عينُ ماء اسمها عين الإيمان، ولا يدخلها إلا مَن ذاق طعم الإيمان مِن الأمم. وفيها رأيت مراتب أهل الإيمان، ورأيتُ فيها ملائكة مخلوقة من أعمال المؤمنين يغرسون أشجاراً ويبنون قصوراً. وفيها رأيت أشجاراً تحمل أثماراً جَمّاً، وفيها أشجاراً تحمل عُمّارها الذين يسكنونها. ورأيت فيها صوراً على كَرَاسٍ عالية، وفي أيديهم أقلام وألواح؛ وصرير أقلامهم لها طنين مُطْرِب تسمعها أهل الجنَّات كلها. وقال لي الروح: هذه الجنة أعدَّها الله تعالى لأهل النوافل والمجاهدين والشهداء وفيها رأيت أكثر فقراء أمة محمد. وقال لي الروح: إن الله تعالى يتجلّى لأهل هذه السماء عن بُعد يدركون منه المجلى ويعقلون منه الخطاب عن بُعد. وأكثر أهلها أهل الشفاعة، وفيها سوق فيه أنواع الصور، يدخل المؤمن في أي صورة شاء ويدور ما شاء ويرجع إلى مكان ليس فيه تلك الصورة، واسمه سوق الأمانة.

ثمَّ صعدنا طبقة أخرى مكتوب على بابها: هذه دار الإرادة وجَنّة المأوى، وبناؤها من الزبرجد الأخضر، وفيها عين ماء منهمر، له دويٌّ كالرعد، يخلق الله تعالى مِن ذلك الماء صوراً غريبة النشأ عجيبة المنظر، خِلْقَةَ الله تعالى، وليس لهم أكل وشرب إلا السماع من أنواع النغمات والآلات التي أعدّها الله تعالى عندهم. وفيها داوود وسليمان، وهي مقر الملوك العدل من أولاد آدم، وفيها من الزينة في مساكنها وأشخاصها وأنواع المعلمين والأحلية. ولا تزال فيها لوامع بروقٍ على ممر الأنفاس وهي باطن العرش؛ وأكثر أهلها شاخصون إلى فوق. فسألتُ الروح، فقال: ينظرون زينة العرش ويسمعون وأصوات أهله عند التجليات الغامضة المخصوصة بالمجذوبين المطلوبين إليه من أهل الأرض.

وفيها رأيت سبعة أبحر تخر إلى أسفله، لكل واحدٍ لون، وفيها محل

تجلي الأسماء الحسنى، وفيها يدبّر أمر أهل الجنّات. والواصل إليها تنثني به الحواس الخمس حتى يبقى يدرك بكل حاسّةٍ ما تدركه كل حاسة. وفيها خَرَق بصري الكونَ حتى أدركه حَقيّة كل شيء في نفسه.

ثمَّ دخلنا طبقة أخرى إلى فوق، وهي أوسع دائرة. وقال لي الروح: هي دار القدرة، واسمها الخُلد والعالية؛ وبناؤها من مرجانة، ولونها أصفر يعطي الحمرة، وفيها من الأشخاص قدر ما يعظم على السامع وصفه، ولا يمكن أن يُقدِّر أحدٌ ما فيها، وعليهم تنزل لوامع أنوارٍ بأخبار إلٰهيَّة؛ وفيها لوح القضاء في الآخرة والأولى؛ وفيها ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛ وأهلها منتظرون قدومَ أهل الأرض دائماً، لأن الله تعالى سخّرهم لتلقيهم إليه وللفيض على العارفين منهم. وقال لي الروح: هذه الدار أعدّها الله تعالى للمشاهدة لأهل الجنّات، وأكثرها شهداء المحبة، ينقلهم الله إليها بأشباحهم حتى القيامة.

ثمَّ دخلنا طبقة أخرى اسمها النعيم، وبناؤها من الفضة البيضاء. وقال لي الروح: هذه الجنة محلُّ تَجَلِّي السَّمْعِ، وفيها خَلَقَ الله آدم وخَمر طينته، وهي محل الفطرة الأولى، وبها كانت التسوية والنفخ للروح القدسي، وهي محل الأبرار أهل الصفوة؛ ولم يكن أعظم منها بناءاً، ولا أوسع منها فناءاً؛ وفيها أهل العقل الأعظم متنافسين في معرفة الله. وقال لي: أول هبة فضةٍ يهبها الله تعالى للإنسان في الدنيا سر السمع في هذه الجنة، ولا يزال منها وبصره منصرف إليها حتى إلى تسعة أشهر من عمره، ثمَّ يحجب عنها. وقال لي: سلاطين هذه الجنة الذين لم يعقلوا في الدنيا أحوال المعاش قطعاً.

وفيها عين ماء اسمه «الولاية»، وفيها رأيتُ الخضرَ فقال: لا أزال أتردد إلى هذا المكان في كل أسبوع مرة. وقال لي الروح: أكثر أهلها أهلُ الهمم في ترك تعقل ما سوى الله من الثقلين، وفيها نهر اسمه الصفا يَرِدُ عليه الأولياء من أهل الدنيا بالهمة.

ثمَّ دخلنا طبقة أخرى اسمها دار المواهب، وهي الفردوس، وبناؤها من الذهب، وهي محل الصِّدِّيقين. وفيها من سائر أولاد آدم والجن والملائكة ما لا يحصى عددهم، وفيها أنهار من عَسَلٍ مُصَفّى لذّة للشاربين.

جعلنا الله وإياكم من خُلّص عباده الصالحين.

* * *

رسالة تحفة الرّوح والأُنس
في معرفة الرّوح والنّفس

تأليف

الشيخ حسن بن محمد الشيرازي
المعروف بالشرف البلاسي

اعتنى بها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

الحمد لله الذي تجلى لاسرار الموحدين بذات مقدسة عن الاينية

وتجلى لقلوب الموحدين بعظمة منزهة عن الكيفية، وتعرف

الى نفوس العارفين بوجود منزه عن الكمية، وتحقق الى الباب

الموقنين بحقيقة متعالية عن الكمية، وسقى من مشرع التحقيق

ارواح المومنين باقداح البراهين العقلية والادلة النقلية، فلم يكرع

في الزلال المروى من صرف التوحيد غير المتقين من الشرك والثنوية

سبحانه من واحد توحد في ازل الازال باحكام الاحدية، وتسمى

من فرد تفرد في العز والجلال بنعوت الصمدية، وتعالى بعلو

احديته عن الجنس فلا يحوم حول سرادق كبريائه سوا[illegible]

وتقدس بسمو صمديته عن النوع فلا يرتقي سهم الوهم الى حمى عزة

الالهية، والصلاة التي هي الصلة على ذات محمد ذي المعارج العقلية

والحسية، وعلى اله ذوي المراتب العلوية القدسية، وعلى اصحابه

اولي المقامات السنية، وعلى اتباعه ذوي المكارم والاخلاق

الرضية المرضية، وعلى اخوانه وورثته ارباب المناقب الشريفة العلوية

وبعد فهذه رقائق كلمات عرفانية ونكتات وجدانية واشارات عرشية

وتلويحات لوحية سطرت باقلام شهودية على اوراق وجودية

وسميت بتحفة الروح والانس في معرفة الروح والنفس ورتبت

على مقدمة وثلاث تنبيهات، المقدمة في بيان معرفة ما اطلق

عليه لفظ الروح اعلم وارفاق اطلعكم الله على حقيق الكتاب

المسطور واوقفكم على رقائق الرق المنشور ان لفظ الروح يطلق

على معان مختلفة بعبارات متباينة شتى لكل عبارة منها معنى

صورة الصفة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق لرسالة «تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهو حسبي

الحمدُ لله الذي تجلّى لأسرارِ الموحِّدين بذاتٍ مقدّسةٍ عن الأينيّة، وتجلّى لقلوب الموحِّدين بعَظَمةٍ منزّهةٍ عن الكيفيَّة، وتعرّف إلى نفوسِ العارفين بوجودٍ منزّهٍ عن الكميَّة، وتحقَّقَ إلى ألبابِ الموقنين بحقيقةٍ متعاليةٍ عن اللميَّة، وسقى من مَشْرع التحقيقِ أرواحَ المؤمنينِ بأقداح البراهين العقليَّة والأدلّة النقليَّة، فلم يكرعْ من الزلالِ الرويّ من عَرَفَ التوحيدَ غفيرُ المتّقين من الشركِ والثنوية، فسبحانه من واحدٍ توحَّدَ في أَزَلِ الآزالِ بأحكام الأحديَّة، وتبارك من فردٍ تفرّدَ في العزّ والجلال بنعوت الصمديَّة، وتعالى بعلوّ أحديّته عن الجنس فلا يحومُ حول سُرداقِ كبريائه سؤال الماهيَّة، وتقدَّسَ بسموّ صمديَّته عن النوع فلا يرتمي سهم الوهم إلى حمى عزّته الإلٰهيَّة. والصلاةُ التي هي الصلةُ على ذاتِ محمدٍ ذي المعالي العقليَّة والحسيَّة، وعلى آله ذوي المراتب العُلويَّة القدسيَّة، وعلى أصحابه أولي المقامات السنيَّة، وعلى أتباعه ذوي المكارم والأخلاقِ الرضيّة المرضيّة، وعلى إخوانِه، وورَثَتِه أربابِ المناقبِ الشريفةِ العُلْوية.

وبعد، فهذه رفاقي كلماتٌ عِرفانيَّة، ونكتاتٌ وجدانيَّة، وإشارات عرشيَّة، وتلويحات لوحيَّة، سُطِّرت بأقلامٍ شهودية على أوراقٍ وجوديَّة، وسُمِّيتْ بتحفةِ الروحِ والأنس في معرفة الروح والنفس، ورُتِّبتْ على مقدّمةٍ وثلاثةِ تنبيهات.

* * *

المقدمة
في بيان معرفة ما أُطلِقَ عليه لفظ الروح

اعلموا رفاقي ـ أطلعكمُ الله على حقيقِ الكتابِ المسطور، وأوقفكم على رقائق الرقّ المنشور ـ أنَّ لفظَ الروح يُطلقُ على معانٍ مختلفةٍ متباينةٍ شتّى، لكلّ عبارةٍ منها معنى.

فيُطلق ويُراد به الملائكة الكروبيون المهيّمون في طاعة الله عزَّ وجلَّ. وهم طائفةٌ ليس عندهم علمٌ ولا شهود إلا جلالُ الله عَزَّ وجلَّ، لا يعرفون أنَّ الله تعالى خَلَق خلقاً سواهم لاشتغالهم به تعالى عمّا سواه، فهم هائمون في شهودِ جلالهِ. ونظيرُهم من البشرِ الأفرادُ الخارجون عن دائرةِ الأقطاب المشارُ إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام، فيما روى ابنُ عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله خرجَ ذاتَ يومٍ على قومٍ يتفكّرون، فقال: «**ما بالكم لا تتكلّمون؟**»، فقالوا: نتفكّرُ في خَلْقِ الله، قالَ: «**فكذلك فافعلوا، تفكّروا في خَلْق الله ولا تتفكّروا فيه، فإنَّ بهذا المغرِب أرضاً بيضاءَ نورُها بياضها ـ أو بياضها نُورها ـ، مسيرة الشمس فيها أربعون يوماً، بها خَلْقٌ مِن خَلْقِ الله تعالى لم يَعصُوا الله تعالى طَرْفَةَ عين**». قالوا: يا رسول الله، فأينَ الشيطانُ منهم؟ قال: «**ما يدرون خُلِقَ الشيطانُ أم لا**»، قالوا: من وَلَدِ آدمَ هم؟ قال: «**ما يَدرون خُلِقَ آدم أم لا**»[1].

ورُوي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أنه قال: «من وراء عالمكم

---

(1) أورده ابن كثير في التفسير، سورة التحريم [4/ 384] وأورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (1004) [1/ 370] وأورده غيرهما.

هذا ستةٌ وثلاثون ألف عالم، في كل عالم ستّ وثلاثون ألف مدينة، في كل مدينة ستة وثلاثون ألف باب، على كل باب ستّ وثلاثون ألف نفس منفوسة، لا يعلمون أنَّ الله خَلَقَ آدم ولا ذرّيته، هم أعرفُ بنا وأطوعُ من أحدِكم لهواه، وهم على ذلك لا يعلمونَ أنَّ الله خَلَقَ خلقاً ولا أنزل كتاباً».

قلتُ: هذان الحديثان يطول فيهما نظر الناظرِ ولا يستوفي العارفُ بحارَ المعرفةِ التي أفاضها الله تعالى عليهما، وإن عُمِّرَ عُمْرَ نوح. ويُطلقُ ويُراد به الملائكة المسخّرة الذين هم عمادُ السماواتِ والأرض، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحريم: الآية 6]، سخّرهم الله عزَّ وجلَّ للإنسانِ في جميع مصالحه دنيا وبَرزخاً وآخرةً.

ويُطلقُ ويُرادُ به الأرواح المدبّرة لأجسامنا التي قضى الله عليها الموت وسخَّر بعضها لبعض. فالأرواح المهيّمة حائرة، والأرواح المسخَّرة ذاكرة، والأرواح المدبّرة ناهية وآمرة.

ويُطلقُ ويُراد به الروح الذي يُنفخُ منه عند كمال تسوية الخلق، وهو الروح الذي سُئِلَ عنه رسول الله ﷺ فلم يُجِبْ عنه حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسرَاء: الآية 85].

وقيل: هو مَلكٌ عظيم يقومُ وحدَه يوم القيامة صفّاً والملائكةُ صفاً.

واعلم أنَّ حرف «من» هنا لتبيين الجنس لا للتبعيض، يُبيِّنُ به أنَّ الذي يصلحُ للمكلَّف أن يطّلع عليه من حقيقة هذا الروح هو أن يعلم أنَّ هناكَ شيئاً من عالَمِ الأمرِ لا مِن عَالمِ الخلقِ، وعالمُ الأمر هو كلُّ ما صدرَ عن الله تعالى بغير واسطة إلا بمشافهة الأمر الربّاني الوحداني، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الوجودِ المطلق، والسبب الأول بالإضافة إلى الوجود المقيّد، فهو أوّل في المبدعات. وعالم الخلق هو كلُّ ما صدر عنه تعالى عند سببٍ متقدّم مِن غير مشافهة الأمر العزيز. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية 54].

و«لام» له، هنا بمعنى منه، وليست للمُلْكِ بل بمعنى الصفة، كما يقال:

له خيلٌ وجِمالٌ ودارٌ وعقار، ومقامٌ له دون مقام، فافهم وما فهمُكَ إلا بالله.

ونسبةُ هذا الروح إلى البدن كنسبة المَلِكِ إلى دار مملكته، فهو الحكمُ والآمرُ والناهي، والقلب كالمنزلِ الخاصّ له، والأعضاء الحواسّ الظاهرة والباطنة كالخُدَّام له، ينهضون عند إشارته ويسكنون عند سكونه، والعقلُ كالوزيرِ له، والشهوةُ كالخادم الموكَّلِ بما يحتاج إليه منزِلُه من المأكولِ والمشروب ومرّمة ما تشعَّثَ وإصلاح ما انهدم، والغضب كالحاجب الذي إليه السياسة وإصلاح دار مملكته ليُذِلَّ أعداءَه ويُعزّ أولياءَه.

سُئِلِ شيخنا شيخُ الطريقة وإمام الحقيقة جنيد البغدادي قدَّسَه الله، عن حقيقة الروح، فقال: إنه موجودٌ استأثر الله بعلمه ولم يُطْلع عليه أحداً من خلقه.

فلا يجوز العبارة عنه بأكثر من أنَّه موجودٌ أمريٌّ، لأنه لم يرد الشرع بالإذن في ذلك إلا أنه من أمر ربي.

وسُئِلَ الشيخ الكامل صدر الدين محمد بن إسحاق الملطي، قَدَّسه الله، عن الروح، فقال: الروح عبارة عن حصَّة من مطلقِ الوجود منصبغةٍ بأحكام الحياة والعلم والإرادة والقدرة على وجه السلطنة فيها للحياة.

وبالجملة: فلا يمكن لأحدٍ أن يعرف الروحَ بأكثر مما عرّفَنا به الله تعالى في كتابه العزيز، وهي كافية لمن له فطنةٌ وافية.

ويُطلق ويُراد به النور الذي يجدُه أهلُ الله عزَّ وجلَّ عند الانقطاع إليه بالهِمَم والعبادة، وهو نورٌ موهَوبٌ من حضرة الربوبيّة لا من غيرها من الحَضَرات.

وأصلُه من الروحِ الأمري الذي لم يوجدْ عن خلق، وهو النَّفَسُ الرحماني المشارُ إليه بقوله عليه السلام: «**إنِّي لأجدُ نَفَسَ الرَّحمان من قِبَلِ اليمن**»[1].

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عن وصف الريح. . .، حديث رقم (6853) [15/ 266] ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، من كره الخروج في الفتنة. . .، حديث رقم (37317) [7/ 471] ورواه غيرهما.

اليَمَنُ في العالم الكبير هو عبارة عن العرشِ المستوي عليه الرحمان، وفي العالم الصغير هو عبارة عن العرش الذي عليه الله وهو قلبُ العبدِ المؤمن المستغرق في الشهودِ الذي لا يُلوي إلى شيء، وذلك لأنه محوٌ في وجوده تعالى لا يشهد غيرَه ولا يرى سواه.

وها هنا نكتة وجدانية وهي: أنَّ أويساً، قدَّس الله سرَّه، كان في ناحية اليمن من قبيلةٍ يقال لها: القَرن، ولم يكن له اجتماعٌ حسن مع رسول الله ﷺ، وكانت أمُّه تكره مفارقته إياها، ولم تأذن له بالهجرة إلى رسولِ الله ﷺ، فكانَ لأجل ذلك دائمَ التلهُّفِ والتحسُّر والتألُّهِ والتحيُّر فَيُظَنُّ به جنونٌ. وكان كلما حنّتْ طبيعتهُ الثائرة إلى مشاهدة الحضرَةِ النبويَّةِ وتنوير مشكاتِه بأنوارِ الطلعةِ المحمديَّة، وهمّتْ نفسُه القاهرة إلى حصول الملاطفةِ الأحمديَّة عاقه رضاها عن التوجُّه إليه ومنَعَتْه صِلةُ الرحم عن المثولِ بين يديه، مع ما كانت قوّتُه الروحانية حاكمة بأنَّ الأرواح متلاقية وإنْ تباينت الأبدان متناجية، وإن تباعدت البلدان. وكانت قوّته الطبيعيَّة ودغدغَتُه الوهميَّة تتواجد على حصولِ المشاهدة الشخصيَّة البدنيَّة، وتتهالكُ على وصولِ الملاطفة الأنسيَّة، وتزعم أنَّ بتلك سكونَ البال وركونَ ذلك الخيال واستقرارَ تلك المخيِّلة لتمام الاتّصال. فكان في تلك الحال يخطرُ ذكرُه بقلب رسول الله ﷺ، فينعكس نُور ذكرِه عليه الصلاة والسلام إلى قلبِ أويسٍ قدّس الله سرَّه، فيجد عند ذلك نوراً وبهجةً وسروراً، ويهب على قلبه من النَفَسِ الرحماني الموجود في قلب رسول الله ﷺ ما يُؤدِّيه إلى شهود وجه الحقِّ في تلك القواطعِ المانعةِ والموانِع العائقة، فيجدُ بذلك النفس الرحماني حياةً طيّبةً ويَحصلُ في قلبه سكينةٌ نورية، فيسكنُ، رضي الله عنه، عن تلك الحركة الشوقيَّة الموجبة لمفارقةِ أمّه ويعودُ إلى خدمتِها وقد ارتفع عنه حجابُ ظلمةِ الحسيَّةِ لظهور نور النفحات القدسيَّة المشرق على قلبه بواسطة ذِكر رسولِ الله ﷺ إيّاه، فعبَّرَ رسولُ الله ﷺ عن هذا النور الربّاني والسرِّ الإلٰهي بالنفسِ الرحماني، فإنَّ به صارَ مَن صار حيّاً إذ النَفَسُ الرحماني هو الحياةُ الساريّةُ في الموجودات لأنه حركةُ وجودٍ، به، وفيه، ومنه، تتعيّنُ

الموجوداتُ كلُّها، وهذا النور هو المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: الآية 52]، ما هو تحت كسبك ولا تعلق لك خاطرٌ بتحصيله ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ الشورى: الآية 52].

فأويس ومن كان على قلبه وقدمه، أي تقلّبه في الأحوال والأعمال، هو ممن شاء من عباده، فلا مانِعَ من أن يُقال لهم عند حصول ذلك: النَفَس الرحماني وإشراقِ ذلك النور الرباني وظهورِ ذلك السرّ الإلٰهي. فُلانٌ صاحبُ نفسٍ أو ذو روح أو حيٌّ وقد التحقَ بالأحياءِ، وهو المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122]، وقوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النُور: الآية 35]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: الآية 40]، فكان يجعلَ الله لم يُضِفْه إلى الاكتساب بل هو عطاءُ الملك الوهّاب.

ويُطلقُ ويُراد به البخارُ المتولِّد من لطيفات الأخلاط الأربعة، وهو ما احتوى عليه تجاويفُ القلبِ الصنوبري. والروح هو ما روَّحَ هذا الروح وما دَخَلَ في آلةِ التنفس بالانقباضِ وخرج بالانبساط، وهذا الروحُ مبثوثٌ في الهواء والمواضع الخالية من العالم الأكبر كانبثاث الروح في المواضع الخالية من القلب والعروق الضاربة في أنحاء الجسمُ المتشعبَة فيه، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا الريح فإنها من نَفَسِ الرحمان**»[1]، أي: فإنها مما ينفسُ الله بها عن عبادِه. ومن هنا قيل: الروحُ باطنُ مصوِّرِ الصوَرِ لأنه نفس، والصورةُ جزءٌ لمن صوَّرَها إذا نفخَ فيها روحاً فإنه فيها منه.

ويُطلقُ ويراد به النفسُ الناطقة، وهي القوَّة الإلٰهية السارية من قلّة العالَمِ الأكبر إلى قلّةِ العالم الأصغر، المتصلة بنا الغير منفصلة من عالمها، الممدة

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، من سورة البقرة، حديث رقم (3075) [2/ 298] ورواه الترمذي في السنن الكبرى، ما يقول إذا هاجت الريح. . . ، حديث رقم (10771) [6/ 232] ورواه غيرهما.

بما يكون قبل كونه التي هي، دونَ سائرِ الأشياء، تعطينا معرفة العلم بالعلويات الكليّات والسفليات الجزئيات، وإن كان لها في عالِمَنا للجزئيات شريكٌ من الحوَاسّ، فهي المتوحِّدة بإعلامنا أمرَ الكليّات بغير توسُّطِ الحواسّ. وهذه المعرفة قد نصل إليها بالعقول الصافية دفعةً، وبالرؤيا الصادقة أخرى عند اطّلاعِ ما يخصّنا منها إلى ما حولنا ونتذَكّرُ ما في طبعِها علمه. ومن الأكياس من ينظر أنَّها مما سيكونُ قبل كونه، والفرقُ بين الروح البخاري والروحِ الإلٰهي المسمَّى بالنفسِ الناطقة أن الروحَ جسمٌ لطيفٌ والنفس الناطقة ليست بجسم، والروح يحويه الجسم والنفسُ الناطقة لا يحويها الجسم، والروح إذا فارقَ الجسدَ بَطُلَ والنفسُ الناطقة إذا فارقت الجسد، أعني إذا فَسُدَ مزاج البدن بالكليَّة، بَطُلَتْ أفعالُها من البدن ولم تبطل هي في ذاتها، لأنَّها جوهرٌ روحاني غيرُ جسمٍ ولا جسماني. وليست ذات محلّ ولا ضدَّ لها ولا مزاحم، ومبدعُها دائم فتدوم به، وليس بينها وبين البدنِ إلا علاقة عَرَضيّة شوقيّة لا يبطلُ ببطلانه الجوهر. والنفس الناطقة تحرّكُ البدن وتُنيلُه الحسَّ والحياة بتوسّطِ الروح، والروحُ تَفعلُ ذلك بغيرِ توسُّطٍ،والنفسُ الناطقة تحرك البدنَ وتُنيلُه الحسَّ والحياة فإنَّها أول علّة لذلك وفاعلة فيه، والروح تفعلُ ذلك وهي عِلَّةٌ ثانية، فالروحُ إذن قريبةٌ لحياة البدن وحسّه وحركته وباقي أفعاله، والنفس الناطقة علّةٌ بعيدة لذلك. وذلك أنَّ الإنسان لما كان مركّباً من أجزاء صلبةٍ وهي: العظام، والغضاريف، والأعصاب، والعروق، وما أشبه ذلك، ومن أعضاء رطبة وهي: الأخلاط الأربعة، أعني الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء، أو من الروح الذي في تجويف القلب والدماغ والشريانات والأعصاب، ولأنَّ الروح أرقّ هذه الأجزاء وألطفها وأصفاها، كان ذلك أشدَّ قبولاً لِفِعال الناطقة من سائر أجزاء البدن، وعلى قدر ذلك من رقّتهِ ولطفه وصفاءه قَبِلَ من فعالِ الناطقة، وكذلك قالت الفلاسفة: إنَّ قوى النفس تمامية لمزاج البدن، كما أنها تمامٌ لجسمٍ طبيعي آلي ذي حياةٍ بالقوّة. وهي في الجسم بمنزلة الصورة في الهيولى، والجسم للنفس الناطقة كالهيولى للصورة، فمن كان مزاجُ بدنه في

غاية الاستواء كانت أفعالُ النفس فيه في غاية الاستواء، ومن قَصَّر مزاجُ بَدنِه ـ أعني الأعضاء التي فيها الروحُ ـ عن الاعتدالِ المخصوص بها قَصَّرَ أيضاً الروحُ عمَّا يَجبُ له من الرقةِ واللطفِ والصفاءِ، كما قَصَّرتْ أفعالُ النفسِ فيه لتلك العلّة. ولذلك صارت قوى النفسِ في الصبيان ناقصة ضعيفة، وكذلك في الأمم التي غلبَ على أمزجتها الحرُّ والبرد، وكالزنج والصقالبة وما ناسبَ بهاتين الأمتين، ولذلك أيضاً اختلفت أفعال النفسِ فصارت في الروح الذي في القلب الحياة والتنفس والقبض فقط.

إذ ذلك الروح أقرب الأرواح إلى الهواء، وأقلّها رقّة ولطفاً وصفاء، **ثمَّ** الروح الذي في تجويفِ مقدَّم الدِّماغ صارَ فيه الحسُّ والتخيُّل لما نالَه من زيادة الرقَّة واللطف والصفاءِ على الذي في تجويفاتِ القلب. **ثمَّ** الروح الذي في مؤخَّر الدماغ صار فيه الذكرُ والحفظُ لِمَا يحتاج في ذلك إلى فضل الرقَّة واللطف والصفاءِ على ما تقدَّمه من الأرواح، إذا كان يريد أن يذكر أشياءَ قد قَضَتْ وبَعُدَ عهدُها. فهذا ما أردنا إيراده في هذه المقدّمة، والله الموفِّق للصواب والهادي إلى وحدة العقل الوهَّاب.

* * *

التنبيه الأول
في بيان معرفة وحدة النفس الإنسانية عقلاً ونقلاً

اعلموا رفاقي حقَّقكم الله بحقائق ذواتكم وأطلعكم على رقائق أسمائكم وصفاتكم، أنَّ النفسَ الإنسانية هي حقيقةٌ واحدةٌ بالذات، متكثرةٌ بالأسماء والصفات. فباعتبارات يُعبَّرُ عنها بعبارات، فتُسمَّى تارةً روحاً أمريّاً، وتارةً لطيفةً مدركةً، وتارة كلمةً طيّبةً، وتارةً كلمةً جامعةً فاصلةً، وتارة نَفْساً مُطيعَةً، وتارةً نفساً ناطقة، وتارةً عقلاً ولبّاً ونهًى وحجراً وغريزة.

وإن كانَ كلٌّ واحدٍ من هذه الألفاظ يُطلَقُ على معنًى مشتركٍ بينه وبينَ تلك المعاني، إذ القوم قد يُطلقونَ القلبَ على الروح وبالعكس، ويريدون بالروحِ تسمية الفلاسفة نفساً ناطقة، ويسمُّونه روحاً أيضاً. وأما النفس فعند الصوفيَّة هي الأوصافُ المذمومة والروح هي الأوصافُ المحمودة، ولا إربَ لنا في الألفاظ وإنما المقصودُ المعنى، ولا مشاحةَ في الألفاظ والأسماء والألقاب إذا فهم المعنى، ولله دَرُّ القائل:

عباراتنا شتّى وحسنُكَ واحدٌ وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يُشيرُ

وأمَّا الدليلُ العقلي على أنَّ النفسَ الإنسانية التي هي خاصيّةُ الإنسان واحدة لا اختلافَ فيها بالحقيقةِ والذات بل بالأخلاق والصفات التي هي من توابع مزاج البدن، وهي من العوارض العارضة لذات النفس، هو أنَّ النفوسَ كلها فاضت من مبدأ واحدٍ بسيط هو المسمّى عند الحكماء بالعقل الأخير الفعّالِ الواهبِ للصور، وهو لا تركيب فيه ولا اختلاف، فيستحيل أن يكونَ في النفوسِ الفائضة منه اختلافٌ بالحقيقة، لأنَّ اتّحادَ العلَّةِ علَّة اتِّحادِ المعلول كما عرفوا، من أن القاعدة

القطعية المشهورة: أنَّ الواحدَ لن يصيرَ مصدراً لاثنين مختلفين قط.

وأيضاً لو اختلفت النفوسُ بالذاتِ حتى كانت كالجنسِ وامتازت الأنواعُ بالفصولِ كان كلّ نوعٍ منها مركّباً من جنس وفصل، وقد برهنّا على امتناعِ التركيبِ والانقسامِ فيها، ولو كانت أيضاً كلُّها من نوعٍ واحدٍ لامتازتْ الأشخاصُ بالخواصّ والصفاتِ، فيلزم ما ذُكِرَ من استحالةِ التركيبِ باعتبارِ النوعِ لا باعتبارِ الصفات، لأنَّا نقول: عروضُ الصفاتِ الخارجيةِ لا تُركِّبُ الذات، إذ الصفة لا تدخلُ في حقيقةِ الذات، أما الفصولُ الذاتيَّةُ المميِّزةُ بين الأنواع فهي داخلةٌ في الذات مركِّبةٌ لها، فالفصلُ هو الفصلُ في هذا الفصل.

وأما الدليل النقلي فكثيرٌ، منه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: الآية 189]. فهذه الآية دلّت على أنَّ مبدأ كلِّ النفوس واحد، وقد عرفتم أنَّ اتحاد المصدرِ دليلُ اتِّحادِ المصادر.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٍ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمَان: الآية 28]. فهذه الآية دلّت على اتِّحادِ المبدأ والمعادِ للنفوس الإنسانية.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**كل مولود يولَدُ على الفطرة فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه ويمجِّسانه**»[1]. فهذا الحديث دلّ على أنَّ النفوسَ الإنسانية كلها مفطورة فطرة واحدة، إلا أنَّ رذائل الأخلاقِ والعاداتِ ومساويءَ الأفعال والاعتقادات مما ينجِّسُها ويُرجِّسُها ويُخرجها عن طهارتها ونضارتها كتهوِّدِ أبويه وتنصُّرِهما وتمجُّسِهما.

فَثَبَتَ بهذه البراهين العقلية والأدلّةِ النقلية أنَّ حقيقة الإنسانِ هي حقيقةٌ واحدة مقدّسة عن الاختلافِ في ذاتها، وأنَّ جميعَ ما يطرأ عليها ليس إلا من المزاج المعبَّرِ عنه بالاستعداد، وهو بابُ رحمةِ الملِكِ الجَواد. والقبولُ إنما

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (1319) [1/ 465] ورواه مسلم في صحيحه، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (2658) [4/ 2047] ورواه غيرهما.

هو بحسب الاستعداد، فإنَّ النفس منفوخة، فهي نفسٌ من روح طاهرٍ مضاف إلى الحضرة المقدّسة الإلٰهية المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: الآية 29]. فليس ما يطرأ عليها إلا من المزاج.

وللشيخ الأكمل الأكبر محيي الدين محمد بن العربي، قدَّس الله سرَّه، في هذا المعنى نظمٌ، وهو هذا:

الروحُ واحدةٌ والنشأ مختلفٌ	في صورةِ الجسمِ كان الأمرُ فاعتبروا
في الجسم كان اختلافُ النفسِ فاعتمدوا	على الذي قلتُه في ذاكَ وادَّكروا
فإنَّه العلمُ لا ريبٌ يُداخِلُه	الشمسُ تَعرِفُ ما قلناه والقمرُ

معناه: أنَّ نورَ الشمسِ هو على صفةٍ واحدة فيضربُ في الزجاجِ المتلوِّن فينعكسُ فيظهر فيه ألوانُ ما عليه الزجاجُ في رأي العين والنورُ في عينهِ ما تغيَّر، فافهموا المثلَ فإنه قد جلَّ، وكذلك التحوُّل ـ أي التحوُّل والتمثيل ـ فاعلمه، وهما المشار إليه في قوله عليه الصلاة والسلام: «**أوّل ما خلق الله العقل، فقال له: أقْبِلْ، فأقْبَلَ، ثمَّ قال له: أدْبِرْ فأدْبَر**»[1]. فهو المستفيد لتوحُّدهِ المفيد. فيوجّهه الذي يلي عالَم الحكمة كأنْ يظهر للرسل عليهم الصلاة والسلام، ويُلقي أي القوَّة الجبريلية إليهم الوحي من الشعائر والشرائع لمصلحة سكّان عالَمِ الحكمة، فينطلقُ للرسلِ لسانان: لسانُ الموعظةِ ولسانُ المجادلةِ تبيناً لنفوسٍ خامرها الإباءُ والاستعصاءُ حتى تفيءَ إلى أمرِ الله فتحتوي كلمةُ الدعوة عليهم.

فعلى هذا المعنى إذن قول الإمام علي كرَّم الله وجهه: من عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه[2].

وهي فصلُ الخطاب، كأنَّ من عَرَفَ نفسَه عَرَفَ غيبَه، ومن عَرَفَ غيبَه فقد عَرَفَ غيبَ الحق وما فيه من الملائكة والعلوم والعرش والكرسي والقلم واللوح.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (4) [1/ 13].
(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2532) [2/ 343].

قيل: العرش عقل ونفس وهباء وجسم، والحَمَلَةُ اليوم أربعة، وغداً ثمانية، وهم: إسرافيل، وآدم وهما للصورة، وجبريل ومحمد وهما للأرواح، وميكائيل وإبراهيم وهما للأرزاق، ومالك ورضوان وهما للوعدِ والوعيدِ. ومن عَرَفَ غيب الحقِّ عَرَفَ جبريل، ومن عرف جبريل عَرَفَ حَمَلَةَ العرش، ومن عَرَفَ الحَمَلَة عَرَفَ الأسماءَ والصفات بقدْر استعدادِه، ويعرفُ كلَّ ذلك بوجهه الذي يلي عالَمَ الغيب. ومَنْ عَرَفَ وجهَ نفسِه الباطنة الذي هو عالم الشهادة عَرَفَ نفسَه الظاهرة، ومن عرف نفسَه الظاهرةَ عرفَ شهادته، ومن عرف شهادته عرف شهادة الحقّ وما فيها من المكوّنات، ومن عَرَفَ المكوّنات عرف الأخلاق، ومن عرف الأخلاقَ عَرَفَ آدم عليه السلام، ومن عَرَفَ آدم عَرَفَ النبيَّ الأميَّ العربي عليه السلام والصلاة من الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ عَرَفَ النبي الأميَّ عَرَفَ سائر الأنبياء، ومَن عرف سائر الأنبياء عرَفَ الله عزَّ وجلَّ ينبوعَ الوجود ومفيض الخير والحياة.

فالحاصل: أنَّ من عَرَفَ نفسه حقَّ معرفتها لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء لله. ولا يجهل شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، سوى الأمور التي تتعلّق بظاهر الدنيا فلا يعرفُ أكثرَها ويجهلُ أغلبَها كما رُوي عن النبي ﷺ في حديث تأبير النخل، أنه قال: «**ما أرى ترككم تأبيرَه مضرّةً تحصل له**»[1]، فتركوا تأبيرَ النخل ففسدت ثمارُه، فقالوا له، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أنتم أعلمُ بأمر دنياكم، وأنا أعلمُ بأمرِ ديني**»[1]. فكانوا أعلمَ بهذه، ولم يقدح ذلك في كون رسول الله ﷺ أعظم قدراً من كل البشر. فكذلك حكمُ مَن عَرَفَ الله، إمَّا بعدَ معرفة نفسه بالصورة أو بالنقيض، أو قيل قبل معرفة كل

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لديّ من مصادر ومراجع، والذي ورد هو عن أنس عن النبي ﷺ سمع أصواتاً فقال: «ما هذه الأصوات؟» قالوا: النخل يأبرونه، فقال: «لو لم يفعلوا لصلح». قال: فأمسكوا فلم يأبروا عامهم فصار شيصاً فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إذا كان من أمر دنياكم فشأنكم، وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليَّ». رواه أبو يعلى في المسند برقم (3480) [6/ 198] ورواه ابن حبان في الصحيح حديث رقم (22) [1/ 201].

شيء فإنه لا يلزم أن يكونَ له التقدُّم في كل شيء وفي كل مرتبة، فإنَّ نظرَ المقدَّم إلى التقدُّمِ في رتبة المعرفة بالله عزَّ وجلَّ هناك مقصدُهم ومطلبُهم. وأما حوادث الأكوان فلا تعلُّق لخواطرهم بها، وكذلك في ترجيح الله رأي الفاروق على رأي الصدِّيق في قصة أسارى بدر، وهي مشهورة، مع أنَّ الصدِّيق أفضلُ منه، ولم يقدح ذلك في كونه ترجَّحَ عليه الفاروق، فمهما اطّلعَ الإنسانُ على هذه الموازنة التي بينَ الإنسان وبين الحق والعالم انكشفَ له سرُّ قوله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَقَ آدمَ على صورته**»[1]، وبين قوله: «**من عَرَفَ نفسه فقد عَرَفَ ربَّه**»[2]، وسرَّ قوله: «**كنت سمَعه وبصرَه...**»[3] الحديث.

ولمَّا كان باطنُ الإنسانِ على صورةِ حقائقِ الأسماء الإلٰهيَّة من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، قال الله تعالى: «**كنت سمَعه وبصرَه...**» الحديث. ولو كان ظاهر جسم الإنسان على صورة الحق لقال: كنتُ عينَه وأذنَه، ففرّق بين الصورتين، فصورته الظاهرة من حقائق العالم وصُوَرِه، وصورتُه الباطنة على صورته تعالى، وسيأتي تفصيلُه إن شاء الله تعالى.

والمراد بهذه الصورة الصورة المعنوية، وهي إشارة إلى المضاهاة التي ذكرناها. فعلى ما ذُكِرَ ليس غيرك يا عين الوجود فافهم تكُ من أهل الشهود، ويرجع الجميعُ إلى الذات والصفات والأفعال، إذ إليه يرجع الأمر كلُّه كشفاً وحقيقةً.

فانظروا، رفاقي، إلى حقيقة ذات النفس الإنسانية وصفاتها وأفعالها

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، حديث رقم (5873) [5/ 2299] ورواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (2612) [4/ 2017] ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [2384] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله...، حديث رقم (347) [2/ 58] ورواه غيرهما.

لتنكشف لكم هذه المضاهاة المذكورة في الحديث النبوي. ولولاها لم يقدر الإنسان على الترقِّي من معرفةِ نفسه إلى معرفة ربه، ولولا أنَّ الله تعالى جَمَعَ في الإنسان ما هو مثالُ جملة العالم حتى كان نسخةً مختصرَةً منه، وكأنه ربٌّ في عالمه متعرِّفٌ، لمَّا عَرَفَ العالم ولا التصرُّف الإلٰهي ولا الربوبية، العالم حضرة الربوبية وحضرة الإلٰهية وأنت من جملته، ولهذا يُقال: الكاملُ من يرى الكون كلَّه حضرةً ويرى العبودية عنده وإن كان هو من جملةِ الكون، ولا الفعل ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا سائر الصفات الإلٰهية، فصارت النفس بمضاهاتِها وموازنتِها مرقاةَ ربّها، فحقيقةُ ذاتِها قائمةٌ بذاتِها ليستْ بعَرَضٍ ولا جسمٍ ولا هي متحيِّزة ولا تحلُّ المكانَ والجهةَ، ولا هي متّصلةٌ بالبدنِ والعالم ولا منفصلة عنه، ولا هي داخلة في أجسام العالم والبدن ولا خارجة عنه. وهذه كلُّها صفاتُ ذاتِ الإلٰه تعالى وتقدّس، ولا تُوجِبُ المِثلية لأن الاشتراك في السلوبِ لا يُوجبُ الاشتراكَ في الماهية، لأن كلَّ ماهيتين مختلفتين بسيطتين فلا بُدَّ وأن يشتركا في سلبِ كل ما عداهما عنهما، وأما الصفاتُ فقد خُلِقَتْ فيه عالمةً مُريدة قادرة سميعة بصيرة متكلمة، والله تعالى كذلك.

وأما الأفعال، فمبدأُ فعلِ الإنسان هو إرادةٌ يظهرُ أثرُها أولاً في القلبِ فيَسري منه أَثَرٌ بواسطة الروح الروحاني الذي هو بخار لطيفٌ في تجويفِ القلبِ إلى الدماغ، فيسري منه أثَرٌ إلى الأعصاب الخارجة من الدماغ ومن الأعصاب إلى أوتارِ الرباطاتِ المتعلِّقة بالعضد فتنجذب الأوتار، فتتحرَّك بها الإصبع، فيتحرَّك بالإصبع القلم، وبالقلم المداد مثلها، فتحدثُ منه صورةُ ما يريد كتابَته على القرطاس، على الوجْهِ المتصوَّر في خزانةِ التخيُّل، فإنه ما لم تتصور في خياله صورةُ المكتوبِ أولاً لا يمكن إحداثُه على البياضِ ثانياً. ومن استقرى أفعال الله تعالى وكيفيَّة إحداثِه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تحريك السماوات والكواكب، وذلك بطاعة الملائكة في تحريك السماوات، علمنا أنَّ تصرَّفنا في عالمنا ـ أعني أبداننا ـ يُشبه تصرُّف الحق تعالى في العالم الأكبر وهي مثله، وانكشفَ لنا أنَّ نِسبة شكل القلب إلى تصرفنا يشبهُ العرش، ونسبةَ

الدماغ نسبةُ الكرسي، والحواسَّ كالملائكة الذين يُطيعون طبعاً ولا يستطيعون خلافاً، والأعصاب كالسماوات والقدرة في الإصبع كالطبيعة المسخَّرة المركوزة في الأجساد، والمدادَ كالعناصر التي هي أمَّهات المركَّبات في قبولِ الجمع والتركيب والتفرقة، ومرآة التخييل كاللوحِ المحفوظ، فسبحان من أوجدَه بجودِه وصيّره فردانياً في وجوده، ومنحَه أسماءه وصفاته فتعلَّق بها وتحقَّق، **ثمَّ** تخلَّق بها **ثمَّ** فَنيَ عنها بمشاهدةِ ذاتهِ عند التجلي الذاتي والكشف الوجودي، فرأى في ذلك التجلِّي نفسَه بنفسه وعادَ العددُ إلى أنيّته.

فأول كمال الإنسان هو معرفته ربَّه بنفسه، وأوسط كماله هو معرفتُه نفسَه بربّه، وآخر كمالِه هو معرفتُه ربَّه بربّه، فمن عَرَفَ نفسَه بهذه الأحوال والاعتبارات عَرَفَ ربَّه بجميع الأسماء والصفات، ومن جَهِلَ هذه الامتيازات والنسب والإضافات جَهِلَ حالَه ووقته ومقامه ونفسَه ووجودَه وموجدَه ومشهودَه ومعبودَه.

والجهلُ قسمان: جهلٌ حقيقيٌّ وهو المطلوب لأنه جهلٌ لا ضدَّ له وهو أن يجهلَ ما سواه تعالى لاستغراقه إيّاه تعالى، وذلك هو يقينٌ سرمديٌّ وهو من جملةِ المشهود الحق، إذ ليس لغيره تعالى ثبوتٌ ولا وجودٌ ولا نورٌ أصلاً. فالمعرفةُ هي وجودُ جهلِ الإنسان عند قيام علم الله، فهو العارِفُ وهو المعروف، فالإنسان جاهل به من حيث عينه، وعارفٌ به من حيث هو هو، فالمعرفةُ هي المعرفةُ بالجهل الحقيقي الذي لا ضدَّ له، وهو فَقْدُ ما سواه في الشهود.

هذا وأما العلمُ الذي لا ضدّ له فهو شهودُ الوجود، ولا ضدَّ للوجودَ عند أهل الشهود.

فإن قيلَ: العدمُ ضدُّ الوجود، قلنا: الوجود الذي العدمُ ضدُّه هو الذي تقول الأفكار إنه عَرَضٌ للماهية، وذلك عندهم عَرَضٌ فضدّه عدمُ عُروضِه. وأما ما يَفهمُه أهل الشهود والكشف من الوجود فهو الذي يشتمل الثبوت أيضاً بكل

اعتبار، فيدخل فيه العدم الإضافي لأنه موجودٌ في الذهن.

وأما العدمُ الصِرْفُ، وهو ما لا كان قط ولا يكون أبداً ولا دخلَ في ذهن، فذاكَ لا يقال له ذاك، إذ لا حقيقة هناك تستحقُّ أن يُشار إليها بوهم، فكيف يستحقُّ أن يُثْبَتَ حتى يكون ضدّاً للوجود، هذا باطلٌ.

والقسم الثاني من الجهل، وهو الذي ضدُّه العلم، وهو حجابٌ لأنه عدمُ الإدراك ممن شأنه أن يُدرِكَ في الوقت الذي شأنه أن يُدرِكَ، وهو ظلمة، فالعلم إذن نور لأنه وجودُ الإدراك.

وثمَّ قسمٌ آخر من الجهل، وهو عدمُ العلم بالحق مع اعتقادِ نقيضه، وهو الجهل بالجهل، نعوذُ بالله منه، وهو عدمُ شهودِ سرّ «**كان الله ولا شيء معه**»[1]، على اعتقاد نقيضِه، لأنَّ صاحبَهُ يُثبت لنفسه وجوداً مع وجود الحق تعالى، وهذا هو الجهلُ المركّب والغرور والحمق، وهو الداء العُضالُ الذي أعيا الأطباء وعجزوا عن معالجته، حتى قال عيسى عليه السلام: «كلُّ داءٍ داويتُه إلا الحُمقُ فإنه أعياني».

وها هنا إشارة عرشيةٌ وهي: أنَّ حقيقة الإنسان التي هي نورٌ إلٰهيٌّ وجودي ذاتيّ وحدانيٌّ بسيط، لا يوصفُ بالشهادة، وهو المشار إليه بقوله ﷺ، فيما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن أولِ شيء خَلَقَ الله تعالى؟ قال ﷺ: «**هو نورُ نبيِّكَ يا جابر، خلقَه ثمَّ خَلَقَ منه كلَّ خير، وخَلَقَ بعدَه كلَّ شيء، وحين خَلَقَه أقامه قدّامَه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثمَّ جعله أربعة أقسام، فخلق العرش من قسم، والكرسيَّ من قسم، وحَمَلَةَ العرش من قسم، وخَزَنَةَ الكرسيّ من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبّ اثني عشر ألف سنة، ثمَّ جعله أربعة أقسام. فخلقَ القلمَ**

(1) صحَّ بلفظ: «كان الله وليس شيء غيره» ذكر الإخبار بأن الله جلَّ وعلا كان ولا شيء غيره. حديث رقم (6140) [14/ 7]. ورواه النسائي في السنن الكبرى، سورة هود، قوله تعالى وكان عرشه على الماء، حديث رقم (11240) [6/ 363].

من قسم، واللوحَ من قسم، والجنَّةُ من قسم. وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة، ثمَّ جعله أربعةَ أجزاء، فخلقَ الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثمَّ جَعَلَه أربعة أجزاء، فخلق العقلَ من جزء، والعلمَ والحلمَ من جزء، والعصمة والتوفيقَ من جزء. وأقام الجزءَ الرابعَ في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثمَّ نظر إليه فترشّح النورُ عَرَقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلقَ الله من كل قطرة روحَ نبيّ أو رسول، ثمَّ تنفست أرواحُ الأنبياء فخلقَ الله من أنفاسِهم نورَ الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة. فالعرشُ والكرسيُّ من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، والجنَّةُ وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السماوات السبع من نتائج نوري. ثمَّ خلقَ الله إثني عشر حجاباً فأقام نوري، وهو الجزء الرابع، في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية، وهي حجابُ الكرامة وحجاب السعادة، وحجاب الهيبة، وحجاب الرحمة، وحجاب السكينة، وحجاب الصبر، وحجاب الصدق، وحجاب اليقين، فعبدَ الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة. فلمّا خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يُضيء منها ما بينَ المشرقِ والمغرب كالسراج في البيتِ المظلم. ثمَّ خلقَ الله آدم من الأرض وركّبَ فيه النورَ»[1]. وقد رُويَ أيضاً عنه ﷺ قال: «أوّلُ ما خلقَ الله القلم»[2]، و؟أول ما خلق الله اللوح»[3] الحديث.

معناه: أنَّ الله تعالى اقتطعَ قطعةً من نوره بسيطة لا صورة فيها، أي أوجدَ

---

(1) أورده الصاوي في الحاشية على الشرح الصغير [4/ 758].

(2) رواه أبو داود في سننه، باب في القدر، حديث رقم (4700) [4/ 225] ورواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث رقم (2155) [4/ 457] ورواه غيرهما.

(3) أورده أبو الفيض محمد بن جعفر الكتاني في النظم المتناثر في الأحاديث المتواترة، كتاب بدء الخلق، [1/ 172].

العالم وجودَ شَبَحٍ لا روحَ فيه، فكان كمرآةٍ غير مجلّوة. ومن هذا كلامُ الشيخ الأكبر: «ومن شأنِ الحكم الإلٰهي أنه ما سوَّى محلاً إلا ولا بدَّ أن يقبل روحاً إلٰهياً منه بالنفخِ فيه، فكان القلم الأعلى كالشَبَحِ المسوَّى، أي المستعدّ لأن يظهر فيه روحٌ يَخصُّه، وتلك الروحُ هو اللوحُ المحفوظ، والحكم الذي يتعيَّنُ في القابل نفسُ حصولِه في تلك الحالة هو تقدُّر إلٰهي هو المسمّى بالنفخ، وليسَ إلا حصول الاستعداد لقبول التجلي المسمّى نفخاً، وذلك هو تجلٍّ دائمٌ لم يزل وما بقي إلا قابل، والقابل لا يكون إلا من فيضِ الله رحمةً إيجاديَّة، فالأمر كلُّه منه ابتداؤه وإليه انتهاؤه، فإليه يرجع الأمر كله»[1].

* * *

(1) انظر «فصوص الحكم للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، الفص الآدمي».

التنبيه الثاني

في بيان ظهور نور الحق بالعالم الأكبر والأصغر وترتيبهما ومراتبهما

اعلموا رفاقي، أطلعكم الله على أنوار وجوده وأوقفكم على أسرار جوده، أنَّ الحق تعالى لما قال من الحضرة الذاتية بلسان حالٍ ذاتيّ لنورٍ من أنوارِ قدسه، نورٍ واحد بسيط لا يُوصف بالنهاية: «كن» أولاً لآخر، حصل له من قوله «كن» تعيّنٌ فقط لا أكثر من ذلك لتحقَّقَ فيه الأوليَّة، ولو كان فيه أكثر من حقيقة ذلك التعيُّن لكانت الأولية لأحدهما دون الآخر. أو يكون كلُ واحدٍ منهما أولاً، فيكون القولِ منه تعالى لاثنين لا لواحد، فإذن ما حصل لذلك النور إلا تعيُّنه فقط، لكن حقيقته الأوليَّة تستدعي آخرَ وإلا لم تُحَقَّق الأوليَّة ولا بدَّ منها ليظهر حكم «كن»، فحصل لذلك النور بالتعيُّن المذكور أن يتميَّز عن بقيَّة الأنوار وأنَّ فيه قابليَّة للظهور بصورة ثانٍ يكون لأوليّة ذلك آخراً كما قلنا، فتعيَّن ذلك النور تعيُّناً آخرِ، فكان كونُ آخرٍ غيره فسُمي النور في مرتبة التعيُّن الأول قَلَماً أعلى، وسُمِّي هو بعينه في مرتبة التعيُّن الثاني لوحاً محفوظاً، لكنَّ التعيُّن الأول الذي هو القلم الأعلى شَهِدَ في قولِ الحق تعالى له: «كن» أولاً لآخر، بمعنى تهيّئْ لظهورِ اللوح منك. فقالت ذاته بلسان الحال: سمعاً وطاعة.

فإن القولَ في تلك المراتب ليس إلا بلسان الأحوال، فقول الحق له تهيىء، هو المعنى الذي عبّر عنه بأنه قال له: اكتب، فكتب، أو قال: أقبل، فأقبل، وأدبرْ فأدبر، فقال تعالى: «**وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أكرم**

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (723) [1/ 275].

عليَّ منك، فبك آخذ وبك أعطي»[1]. فذلك التعبير منه هو قبولُ صُوَرِالعالم، ويرى معنى ذلك التهيؤ المذكور في اللوح المحفوظ، فكانت تهيئتُه تسويةً أخرى، فقبلَ اللوح بهذه التسوية المختصة به روحاً وهي مادّة الجسم قَبْلَ صورته، فسميّت كتابة معنوية من ذلك القلم الأعلى في اللوح المحفوظ. **ثمَّ** ظهرت حروف تلك الكتابة جسماً فكانت هذه الكرات، وهي أكوان، حصلتْ كلُّها من معنويَّة قوله تعالى: «كن»، وبمعنوية «كن» حَصَلَ المددُ من القلم الأعلى فيضاً مستمراً كان اللوح المحفوظ يقبله في ذاته **ثمَّ** يسترسلُ من ذاته في ذاتِ المادّة المذكورة، فلما حصل لتلك المادة الجمود الذي به صارت أجراماً جسمية اقتضى اليبسُ الحاصل لها من جهة الحقيقة الجسميَّة أن لا تقبلَ ذلك المدد في ذواتها كلها بل مقدار ما يدوم لها وجودها به فقط، فبقيَ باقي المدد يطلبُ النفوذَ في حقيقة الجسم، فمنعه الجسم ذلك لجموده فقهر المدد بقوّته، فأدارَ الأفلاك ومخضَها مخضاً فاندفع منها كل جزءٍ إلى مُشابههِ فأخذت كل كرة ما ناسبها وبقي الثِقلُ السخيف فاندفع إلى الوسط لما استدارت عليه الأفلاك، فكانت منه الأرضُ، لكنَّ الأرضَ لما اندفعت إلى حقيقة الوسط استصحبت بعض اللطائف وهي كثيفةٌ فاقتضى الحال أن ينفصلَ منها ما يلائمُها، فأوّلُ ما انفصلَ منها ما يُلائمها ما هو أقربُ إلى شِبهِها في الكثافة فكانت البحارُ فتميّزت البحار عنها، إلا أنَّ الماء وَجَدَ في ذاته ما هو ألطفُ منه، فلم يمكن أن يبقى معه فتصعَّدَ بخاراً وهو الهواء، إلا أنَّ فيه بعدُ بعضَ كثافة الماء، فتميَّزَ من ذلك البخار ما كان كثيفاً يُشبه الماء، فدفعته الرياح التي هي في الحقيقة هواءٌ، إلا أنها مندفعة فجمعت ذلك، وانكشفَ الذي يُشبه الماء فانضمَّ بعضه إلى بعض، فازداد كثافةً ألحقته بالماء في الكثافة فنزل أمطاراً، فالتحقَ بكرةِ الماءِ، وكان قد انكشف من الأرض بعضها فأصاب ذلك البعض من الأمطار ما رأيت.

واستمرَّ الحال، فكلما كشف من الهواء بواسطة ما يصعد إليه انعكس أمطاراً، **ثمَّ** إنَّ ذلك الهواء رقي منه لطيفٌ إلى سطح المقعّر من باطن السماء الدنيا، وامتدَّ لسخافتِه ورقّته وقُرْبِ فلك القمر منه، فسمّي ناراً لذلك الامتداد الذي حصل له، فحصل في باطن سماء الدنيا أربعة أفلاك سمَّاها الحكماء: ناراً وهواءً وماءً وتراباً.

هذا ومدَدُ القلم الأعلى متصل، وكلما اتصل دورانُ الأفلاك وكانت في الأفلاك أجزاء هي أصفى جوهراً في الجسمية من بقيَّة الأجسام الفلكية، فكانت هي الكواكب، وبصفاءِ جوهرها صارت لها أشعّةٌ، فوقعت الأشعةُ على سطح الأرض وسطح الماء، فأثَّرتْ في الماء فصعد البخارُ من البحار، وأثّر في التراب تسخينُه فقط، فسرتْ حرارة ذلك التسخين في باطن الأرض، فوجدت باطنَها قابلاً للتكوين المودَع في ذلك المدد مما أودعه الله في القلم الأعلى، فتكوَّن في باطن الأرض أكوان أربعة أكثَفُها الجماد المعدني، فتحرَّكت المعادن بالحركة الإيجادية في بطن الأرض ومنعتها الكثافة أن تشقَّ الأرض وتخرج منها إلا النار.

والكونُ الثاني النباتُ، فإنه تكوَّن تحت الأرض ولم تكن فيه كثافة المعدن ولا بلغَ من اللطافة ما يفصلُه عن الأرض، فشقَّ الأرض وخرج إلى الهواء، لكن بقي رأسُه في الأرض، فاغتذى برأسه منها وجسمه كلُّه في الهواء.

والكون الثالث، وهو الحيوان، فإنه تكوَّن في بطن الأرض وتحرَّك فيه كما تحرَّك المعدنُ والنباتُ بالحركةِ الإيجادية، وزاد على النبات بأنه شقَّ الأرض كما شقَّها النباتُ وخرج منها كما خرج النبات، وحصلت له زيادة وهي الانتقال من مكان إلى مكان فوق سطح الأرض، وتخلّص رأسُه من الأرض لكن ما بَعُدَ رأسُه عنها، بل بقي مكبوباً منحنياً فاغتذى من وجه الأرض وشرِبَ الماء كما شربَ النبات.

والكون الرابع، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، فإنه تكوَّن أيضاً تحت الأرض وتحرَّك كما تحرَّكت الأكوان الثلاثة، وزاد عليها أنه تخلَّص رأسُه تخلُّصاً كاملاً فانتصب وانتهى إليه الإيجاد، فأعطاه القلمُ معناه وهو لطيفته الدرّاكة المعبَّرُ عنها بعبارات مختلفة باعتبارا متباينة، فتارةً يُعبَّر عنها بالعقل، وتارة بالروح، وهو الذي به يتنفّس كل شيء، وهو بدءُ الأسماء الكونيَّة وأوّلُ

الخلقِ وأول الأحياء، وكلُّ من تنفَّس إنما يتنفّسُ بهذه الروح فإنه أصلُ الخلقة. وتارةٌ النفس الناطقة لأنها القلم بالفعل، ولما كان القلمُ الأعلى إنما هو قلمٌ لأنه كاتبٌ، والكتابة نطقٌ، كان الإنسان هو القلمَ الأسفل، فكان ناطقاً كنطقِ القلم الأعلى، إلا أنَّ القلمَ الأعلى نطقه معنويٌّ باطنيّ، وكان الإنسانُ في آخر السلسلة التي بينَ جسمِه وبين القلم الأعلى فكان قابلاً للقلم الأعلى، فكان ناطقاً مقابلاً لنطقِ المقابل له، فكان نطقُ المقابل معنوياً، فوجبَ أن يكون نطقُ الإنسان لفظياً، فنطقَ بالحرفِ والصوت.

* * *

إشارة عرشيّة

وهي أنَّ القلم الأعلى أشرفُ من الإنسان إلا أنَّ الإنسان أكملُ منه، وذلك أنَّ القلم الأعلى فصَّل ما ضمنَه فكان ذلك التفصيل هو الإنسان، فالإنسان هو القلمُ بوجه أجمل، والقلمُ هو الإنسان بوجهٍ أكمل، والقلمُ هو حقيقةُ الأشياء كلِّها لكن بالقوَّة، والإنسان هو حقيقةُ ما بالقلم لكن بالفعل، فالإنسان هو القلمُ بالفعل كما كان القلمُ إنساناً بالقوَّة. ولسنا نعني بالإنسان هنا صورة معيَّنة، **ثمَّ** أعطاه اللوح المحفوظ حقيقته وهي نفسُه العاقلة لأنها هي التي تقبلُ الكتابة وهي العلوم، وأعْطيَ حقيقة المادّة وصورتَه الجسميَّة وحقيقة الأركان الأربعة، وهي: النارُ والهواءُ والترابُ والماءُ. ذلك هي الصفراء التي في جسمه المشابهة للنار في الحرارة واليبوسة، والدمُ الذي هو مشابهٌ للهواءِ في حرارته ورطوبته، والبلغمُ الذي هو مُشابهٌ للماء في برودته ورطوبته، والسوداءُ التي هي مُشابهةٌ للشراب في برودته ويبوسته.

وفيه ما يُشابه المولَّدات منها، وهي الثلاثةُ، ففيه العظمُ كالمعادنِ والنباتُ وكالشعرِ والحيوان كجسمِه المحَسّ، ففيه صُوَرُ العالِم الكبير مجملَة. وأما ما منحه الله تعالى من المعاني والصفات فلا نهاية لها.

وبالجملة: فلو تقصيّنا آثارَ هذه الحقيقة المسماة بالإنسانية وتتبّعنا خصائصها وصفاتها وشؤونها وأطلقنا عليها من ذلك ألقاباً وأسماءً لما وَسِعَها مجلّدات، وهي كلمةٌ من كلمات الله تعالى التي تنفدُ البحار ولا تنفد، وهي كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: الآية 27]. وذلك لأنَّ كلَّ قطرةٍ من البحر لاتتجاوز أن تكتبَ معنى نفسِها من جهة أنها كلمةٌ من كلمات الله، فإذن

لو تضاعفت البحور إلى غير نهايةٍ لما تجاوز قطرُها حدَّ أنفسِها من جهة أنها كلمات، والوجود نفسه رقٌّ منشور، والموجودات به كلماتٌ مكتوبة والإنسان منها كاتبٌ مكتوب.

وقد عُبِّر أيضاً عن حقيقة الإنسان الذي هو الإنسانُ الكامل بالمفيض الأول، والممدِّ الأول، والمعلِّمِ الأول، والعبدِ الأول، والخليفةِ الأول، والروحِ الكلّي، والإنسان المعنوي، والإمام المبين، والكتاب المُحصى فيه كل شيء، واللوح المكتوب فيه من كل شيء ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية 145]، ومرآة الحق ومركز دائرة الكون، والكلمة الكبرى الجامعة الفاصلة.

وبالجملة: هو مجمَعُ الحَضراتِ الأسمائية وحقيقةُ الحقائق والمرتبةُ الجامعة بعدَ ترقِّيه إلى الحضرة التي هي حضرة الحضرات، وهو المستحقُّ أن يكون موصوفاً بصفاته تعالى، فهو حيٌّ عالِمٌ مريد قدير سميع بصير متكلِّم، إذ قد يظهر الحقُّ تعالى من ظهوره بهذه الأسماء ظهوراً بالفعل، فإن شئتَ أن تجعل الحقيقة هي حياته وعلمه وإرادته وقدرته وظهوره وسمعه وبصره بمقتضى قوله تعالى: «**كنتُ سمعَه وبصرَه...**» الحديث. وإن شئت فاعكس فيه رأي وسمع الجزئيات، و«**كان ولا شيء معه**» حين فنيَ في الذات بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17]، ومن باب «**جُعتُ فلم تطعمني**» ونحو ذلك.

وتلخيصُ هذا كله: أنَّ الحقَّ تعالى توجَّهَ إلى الإيجاد توجُّهاً واحداً، فأخذت الممكنات، أعني المقدورات، قبل تصرُّف القدرة فيها تتعيَّن في وجودِه تعالى من حين ذلك التوجُّه مبدأً أولاً، ويعلم وإلى أنْ يشاء الله في المستقبل، وذلك التعيُّن يتفصّلُ في وجودِه أبداً، تتعطفُ فيه أسبابه على مسبَّباته ومسبَّباتهُ على أسبابه، ومعلولاته على عِلله، وعِلَلُه على معلولاته، ويتساوى في الإسناد إليه تعالى السابق والمسبوق، واللاحق والملحوق، وهو واحدٌ للجميع تلقّاه كلُّ ممكن باستعداد فقبل منه ما يليقُ بإمداده.

فإن قيلَ: فالممكن القابل قبل الوجود كيف يتحقق في الشهود؟ قلنا: هي قوى في الجود الإلٰهي لا هو غيرها بعد كونها ولا هي غيرُه قبل كونها، مثالُه المعلومُ في العلم. وقولنا آنفاً: إنَّ الممكنات تتلقّى الوجودَ باستعدادات متفاوتة، وغير ذلك مجازٌ للتقرُّبِ من الأفهام، وإلا فإنَّ القابلَ قوّةٌ في المقبول، والتوجُّه الوحداني الأول الذاتي والإرادة مع وحدانية ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: الآية 50] حتى استوفى حقَّه.

ومن جملة هذا الإعطاء: تفاعلُ الجزئيات بعضُها في بعض، فيعتقدُ المحجوب أنَّ الجزئيات هي التي فَعَلَت وانفعَلتْ، ولا والله، بل النور الأول الواحد هو ذا يتفصّل.

* * *

تلويحٌ لوحيّ

وهو أنَّ الغلط الواقع على المحجوبين هو من اعتقادهم خلاف الواقع، فإنَّ الفعل الحقيقيَّ وهو المصدر، يُسمَّى مفعولاً مطلقاً عند النحاة، فالعالَمُ هو كذلك مفعول مطلقٌ لله تعالى. فمن جعله مفعولاً به حقيقة وقع في الشرك الخفيّ بل والجليّ، فإذن العالمُ بأمرِه علويُّه وسفليُّه، روحانيُّه وجسمانيُّه، طبيعيُّه ومعنويُّه، بسيطه وتخطيطُه، مفعول مطلَقٌ بالنسبة إلى الله تعالى.

وأما باعتبار نسبة بعضه إلى بعض ففيه المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول من أجله، والمفعول معه، وغير ذلك من الاعتبارات. وفعل الله وحدانيّ للجميع، فهي كلها ليست غير حركة إيجاده، فهي كلها حركة لا غير بالنسبة إليه تعالى.

وأما باعتبار تفاصيلها بالنسبة إليها وبالنظر إلى بعضها عند بعض، ففيها الحركةُ والمتحرِّكُ والمحرِّكُ والمحرَّكُ وأنواعٌ كثيرة.

والممكن في ذاته هو فعل من أفعال صفته للمخلوق، وهذا هو الحقُّ الواضح في مقام شهود الأسماء، وأما في الحضرة الذاتيَّة فهو صفة الأعيان الذاتية من جهة أنها صُوَرُ العلم الأزلي الإلٰهي من حيث لا تُغاير الصفة الموصوف لأنه ليس شيءٌ خارجاً عن الذات.

فأما كونه صفة للحق تعالى، فإنَّ الإمكان منه يشتَقُّ له الفعل الذي هو أمْكنه يمكنُه إمكاناً، كما نقول: يمكنُك أن تفعلَ كذا، أي إنك تقدر عليه، أو لا يمكنُك أن تفعل كذا، أي لا تقدر عليه.

وأما كونه صفة للأعيان الثابتة، فمعناه: أنَّ حال المقدور مثلاً هو الذي

أمكنَك من نفسِه حتى فعلت إيجادَه وإيجادَ صفاته، إلا أنَّ هذا المعنى يَرجِعُ إلى الأول، فإنَّ القابلَ في التحقيق هو الفاعل لفاعلية الفاعل ولجميع ما يصدرُ من الفاعل من الأفعال. فإذاً حصولُ التسوية هو من الله تعالى لكن بالعين الثابتة، والتسوية الحاصلة هي الفاعلة في الفاعل للنفخ المُلزمةُ له أن ينفخَ النفخَ الذي به يحصلُ المقبول للقابل، وإنما ظهر الممكن من جهة سلب العدميَّة عن الوجود الإلٰهي فهو واجبٌ بالغير، أعني أنَّ كلَّ ما في الإمكان لا بدَّ أن يُظهره الحقُّ تعالى في الوجود، فهو في نفسِ الأمرِ واجبٌ إلا إنه بغيرِه لا بنفسه، بل هو واجبٌ بنفسه باعتبار أحديةِ الجمع، إذ الأعيان الثابتة هي معلومات الذات، والمعلومُ مع العلم في الذات، وعلمُه تعالى ليس مغايراً لذاته فليس إلا هو. فإذن لا واجبَ غيرُه ولا ممكن سواه. فإن الوجودَ الواجبي الإلٰهي قَدَرٌ شامِلٌ لجميع أشتاتِ الموجودات والأعيان كلها، باعتبار أنَّ لها نوعاً من الثبوت، والثبوتُ لا يكونُ منسوباً لغيره الوجودُ، فالذي يقع في الاشتراك في نظر المحقق ليس إلا الوجود، وهو واحدٌ وليس معه غيرُه.

فمن عَرَفَ وحدانية الوجود عَرَفَ أنَّ نَفسَ رؤيته نفسَه هو عينُ رؤيته ربَّه تعالى، وقد قال ﷺ: «**المؤمن مرآةُ المؤمن**»[1]، معناه: أنَّ وجودَ الحق تعالى كالمرآة يظهر فيه نفسُ المشاهِد وذاتُ المشاهَد، كالمرآةِ تظهر فيها أسماؤه تعالى. فإذن المشهودُ لا يكونُ إلا للوجود أو لمعانيه وهي الأعيان الثابتة المذكورة التي هي صورُ علمِه تعالى.

وأما العدمُ المحض، وهو لا شيء من كل وجه، فلا يُشْهَدُ ولا عنه عبارة إلا مجازاً للضرورة، وها هنا: تلويحٌ لوحيّ.

* * *

(1) رواه أبو داود في السنن، باب في النصيحة...، حديث رقم (4918) [4/ 280] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما في الشفاعة حديث رقم (16458) [8/ 167] ورواه غيرهما.

تلويحٌ لوحيٌّ

وهو: أنَّ المعارف ظلالُ صُوَرِ الموجودات، تثبتُ في صِقَالِ مرآتية النفس عند المقابلة الصحيحة، وتتحقق بقوة الإشراق وعنده تكونُ صحة الإدراك، وليست في الخارج عن الذهن، وإنما هي أمثلةُ الوجود الخارجي، وتُفهمُ من الألفاظ بحسب الاصطلاح، فحقيقة المعاني وجودٌ ظلّيٌّ لطيف، وهو في الحقيقة تَبَعٌ لذي الصورة، فلا صورة إلا لمعنًى ولا معنًى إلا تَبَعٌ لصورة، وكلُّ معنًى لا يتبعُ صورة حقيقة فليس بمعنى، ولا يجوز إطلاق المعنى إلا مجازاً وتوهُّماً.

إذا فهم هذا فنقول: حقيقة الوجود البسيط تطوّر إلى الجسم وكَمُلَ بعد الجسميَّة كحالاتٍ كثيرة حتى بلغ إلى هذا الطور الأكمل المسمَّى بالإنسانيَّة، وليس هو الجسم، بل الجسم صورة من صوره مُعينٌ على بلوغه كحالاته بقواه الظاهرة والباطنة. فإذا انفصل عن الجسم انفصل عالماً بمروره على الأطوار المركّبة التي تركَّبَ فيها، وإنما يعلمُ ذاتَه ولم يحتجْ في قِوامِهِ لذاته إلى الجسم لحصول العلم له من ذاته.

وبعبارة أخرى، هو جوهرٌ أبسطُ البسائطِ في تركيبه، قد تركَّبَ أقصى التركيب في بساطته لا يزيد وجوده على ذاته.

وبعبارة أخرى، هو ذاتُ وجودٍ جزئي باختصاصه بالجسم، فإذا فارق الجسمَ عالماً، قَرُبَ من أن يكون محيطاً بكثير، لا يختصُّ بشيء ولا يقف عند جزء.

وبعبارة أخرى، هو وجودٌ نشأ مع الجسم قليلاً قليلاً وكمل به وفيه ومنه،

وليس بجسمٍ كثيف، ولا تظنَّنَّ أنه قوَّةٌ في جسمٍ فيصعب عليك بقاءُ القوَّة بعدَ فناءِ القُوى بها، وإنما هو وجودٌ علميٌّ روحانيٌّ بالذات، ومن طبعِه أن يُحرِّك ما سواه بحركته، وليست حركتُه كحركةِ الأجسام من كل وجه.

وبعبارة أخرى، هو جوهرٌ بسيطٌ كَمُلَ بتردُّدِه في الأطوار فعَلِمَ ذاتَه بكماله وأدرك تنوُّعَ المعلومات باختلاف تطوّراته وأحواله.

وبعبارة أخرى، هو جوهر الوجود البسيط اتصل بصورة الجسم معناه، كان جسماً طبيعياً على غيركمالٍ فيه بالقوّة، بل كان فيه أوّل كمالٍ حيوانيّ وهو الحسُّ والحركةُ، وقبل ذلك هو للنموّ وجميع القوى الطبيعية، حتى كمال هذا الكمال بالعلم الباقي الذي لا يختصُّ بشيء يبيدُ ويزول، ففارقَ هذه الصورة العنصريَّة وترقّى عنها مكتفياً بذاته، فتحقق جوهره بقوَّةٍ روحانية.

وبعبارة أخرى، هو الوجود البسيط كَمُلَ بالعلم في الجسم، هو لا يُدرَكُ بالحواس الجسمانيَّة للطافته وبساطته، وكلما قَرُبَ الشيءُ من الكثافة ناسَبَ أن يُعلم ويُحاط به، ويَجهَلُ ويقربُ من الموات والسِّفلِ والخسَّةِ والانفعال.

وبعبارة أخرى، هو وجودٌ عقليٌّ علميٌّ روحانيٌّ أصلُ القوى الروحانية، بل هو المتكيِّفُ بجميعها، أدركَ ذاته بواسطة الجسم الذي هو آلتُه وانفصل عالماً تاماً، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النّحل: الآية 78] الآية، فالعقل الفعّال أفاضَ الحياة مع القوَّة التي أفاضها على جسم الإنسان في أولِ نشأته، لكنها إفاضةٌ ساذجةٌ لا علم، أي لا إدراك إلى إبانة، ولا يلزم من كونِ العقل درّاكاً أن يكون ما أفاضه مدركاً في أوّل النشأة حكمةً من الله تعالى فافهم.

فالمفاضُ من أول النشأة درَّاكٌ بالقوَّة إلى أن يصيرَ درّاكاً بالفعل. وهذه نفوسُ الكُمَّل بتوسّطه تلحقُ بمراكزها وتَحنُّ إلى حيّزِها وتشتغلُ بالابتهاج بذاتها ملتذّةً به عند إدراك شرفِها بعلمِها. هكذا أبداً لاستحالة العدم ولأنه بسيط، فلا ينفكُّ إنما تنفكُّ المركّباتُ، وقد انفكَّ مركّبهُ وهو الجسم، فبقي الفردُ حماه الله من كَدَرِ الأغيار وأعاده إلى حضرةِ نورِ الأنوار.

ولي في هذا المعنى نظمٌ، وهو هذا:

تذكّرتِ العهد القديمَ بلعلَعِ	فَهَفَتْ لمعنًى لا يتمُّ لمدّعي
وبانَ لها بانُ الحِمَى وأراكُه	ولاحتْ لها الأقمارُ من كل مطلع
لا تعذلاها، قد تبيَّنَ عذرُها	وقد لاحَ وجهٌ لا يُصانُ ببرقعِ
أشارَ لها الإطلاقُ من حيث ذاتُه	فهامَتْ بفردٍ في وجودٍ منوّع
فيا نسمات الدوح عن أيمن الحمى	أديمي لنا من نشرِكِ المتضوّع
فربّما ينفكُّ قيدُ علائقي	فيسرح طرفي في الجمالِ الممنّعِ
فلو زالتِ الأغيارُ لاستعلن الهدى	ولِم لا؟ ووجهُ الحسنِ غير مبرقع

وها هنا وارِدٌ ربّاني.

* * *

وارِدٌ ربّاني

اعملوا، رفاقي أتحفكم الله بمواردِ الغيوب وألحقكم برداء شواهدِ القلوب، أني لمَّا قَدِمتُ من أرضِ الحجاز سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة، وكانت الوقفة يومَ الجمعة، وكان أميرُ ركبِ الديار المصريَّة الباشقريّ وأميرُ ركِب الشام عزّ الدين بن عزّ الدين الكردي، إلى مدينة دمشق حرسها الله تعالى، سكنت جبلَ قاسيون واخترتُ مغارة تُعرف بابن الشلام، وجلستُ فيها على نيَّة الخلوة فارغاً من المطعمِ والمشرب مجموع الهمّ متوجِّهاً إلى الحقّ تعالى، ذاكراً له باسمه الأعظم، وهو الله، لأنه دليل الذات الجامعة للصفات الإلٰهية كلها، حتى لا يشذُّ منها شيء، وسائرُ الأسماء لا تدلُّ آحادُها إلا على آحادِ المعاني، وهو أخصُّ أسمائه تعالى، إذ لا يُطلِقُه أحدٌ على غيره تعالى لا حقيقةً ولا مجازاً، ولهذا توصف سائر الأسماء بأنها اسمُ الله وتُعرف بالإضافة إليه، لكونه أدلَّ على كنه المعاني الإلٰهية وأخصّ بها، وهو أشهرُ وأظهرُ، فاستغنَى عن التعريف بغيره، وعُرِفَ غيرُه بالإضافة إليه.

مستغرقَ القلبِ والهمَّة به لا أرى غيرَه ولا ألتفتُ إلى سواه، ولا أرجو ولا أخافُ إلا إيّاه، إذ هو الموجودُ الحقيقيُّ الحقُّ وكلُّ ما سواه فانٍ وهالكٌ وباطلٌ إلا به تعالى، وكنت أرى نفسي أوَّل هالكٍ باطلٍ، كما شهده رسولُ الله ﷺ وصدّق من شهِدَ ذلك، فقال: «**أشعر بيتٍ قالته العرب كلمة لبيد: ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطِلُ**»[1].

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن قوله أشعر كلمة...، حديث رقم (5784) [13/ 100] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب شهادة الشعراء، حديث رقم (20890) [10/ 237] ونصه: «أصدق بيت قالته العرب: ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

فبَينا أنا ذاكرٌ متألِّهٌ في الذِكر، منتظرٌ ما يَردُ عليَّ من خزائن جودِه وأنوار وجودِه وأسرار شهودِه، إذ هَتَفَ بي هاتفٌ وهو يقول: يا مسكين هو القريب منك وأنت البعيد عنه، هو القريب منك بالعينيَّة وأنت البعيد عنه بوهميَّة الغيريَّة، إنما تطوَّر فيكَ لتكملَ به ويكملَ فيك لا لتحتجبَ بوهميَّةِ التعدُّدِ لديك من إدراك حقيقة التوحيد فيك. هو عند كل شيء بجوهر ذاته لا بكلّيّته، إذ الكليّةُ لا تستولي عليه لرجوعِها للحصرِ وافتقار الحصر إليه، لا يحمل أثقال التكليف إلا أساسُ الأنانية. لا يحجبك عن إدراكِ كمال الوجود فيك إلا استيلاءُ سلطانِ الغيريَّة عليك. لولا ظهورُك في الحجاب لما ظهرَ الحجاب، فحجابُه عند العارف به كنزٌ يُطلَبُ عنده. فسبحان من ظهر بذاته فأُدرِكَ على تنوُّع صفاته، إذ بظهور نور الذات وُجِدَتْ الأسماءُ والصفات... ليس شيءٌ يُذمُّ بالذات، بل بحاكم التوحيد في التحقيق نُظِرَ إلى النِسَبِ والإضافات. التوحيدُ الوقوفُ مع الذاتِ بجوهرها والتحقيق المنتهي في وحدانية الذات في أطوارها. لو تحقَّقتَ ذاتَك لما عدلَتَ عنها طلباً للخارج. كُن معه كالمعدوم يُحققك به. مَن تمسَّكَ بعروةِ التوحيد ماشياً على قانون التحقيق اتّسَعَ عليه المجال ولم يعزّه المقال. ما دمتَ تطلبُ الوصول إليه فأنت محجوب عنه بتوهُّم الانفصال منه. بقاؤك بك عين فنائك، وفناؤك به عينُ بقائك. حُجِبْتَ بصورتِه عن إدراك حقيقته، لولا وقوفُك عند حدودك لما تخلفتَ عن شهودك. تحقَّقْ جوهرَك وأَنْعِمْ فيه نظرَك، ودعْ أوَّلَك وآخرَك، فبأوّلك الوهميّ تُقَصِّرُ عن شهودِك، وبوقوفِك مع آخرِك تقعُ في حصرِ وجودِك. إن اعترضَكَ عارِضُ الشك فاطلبْه فيه، فكلُّ ما يقطَعُكَ عنه فهو منه. لا يغرُّك تعرّفُه فهو الباطنُ ولا يؤيسكَ تنكُّرُه فهو الظاهرُ، والحقُّ ورائهما وهما له مظاهر. فسبحان من ظهر في ذات الحجاب عند العارف به واحتجب فيما به ظَهَرَ عن المحجوب عنه.

تمَّ الوارد الربانيّ، وتتلوه نصيحة، وهي هذه:

نصيحة

عليكَ بالصدقِ في التوجُّه إلى الله تعالى مِن حيث ما يعلمُ هو نفسُه، لا من حيثيةٍ خاصةٍ ولا على نحوٍ مخصوص، فإنَّ العبدَ إذا توجَّه إلى سيّده بصدقٍ أقبلَ عليه وتولّاه بحفظه، وإنما طولُ المدّة للتواريخ والمربِّي ليقفَ على كل موطنٍ قد شاهدَ حقيقةَ كل مشهد، كي لا تَرِدُ الجملةُ الكليَّةُ على الجزء الصغير، فلا وجودَ حينئذٍ للمحدث في تجلِّي القديم، فهو في كل نفسٍ وحال سارٍ به له، وفيه ذاهِبٌ منه إليه، لا يشاهِدُ سواه ولا يتجلّى لغير إيّاه، أسهرَ باطنه وأراحَ ظاهره، فلا نومٌ ولا إفاقةٌ، وجودٌ في عدم وعدمٌ في وجود:

وحـــيـــاةٌ فـــي مـــمـــاتٍ ومـــمـــاتٌ فـــي حـــيـــاة

فهناك تثبُتُ له أولُ الشهادة بنفي كل شيءٍ حين (لا إلٰه)، فإنْ اعتنى به الجنابُ الأسنى المحمدي ﷺ رَجَعَ إلى حقيقة المشهود، فتمّت الشهادة ولم يرَ إلا الله، فسبحان المتطوّلُ المنَّان!.

اقتطع قومٌ إليه، فهم بنورِه سائرون في العالم الكلّي العلوي والجزئي والسفلي، غائبون عن أعينِ المتشبِّهين بهم، فلا سبيلَ إلى رؤيتهم بغير الفناء ولا إلى معرفتهم بسوى أمثالهم، وهذه أوائلُ أحوالِهم، آوانا الله إليه أجمعين بمنِّه وكرَمِه.

ولا بدَّ لكل من أراد الخلاص مِن شرِّ نفسِه والفوزَ بأنوار قدسِه من أستاذٍ عارفٍ بوجودِه ليوصلَه إلى مقصوده، أو جذبةٍ إلٰهيَّة مِن عين جودِه تأخذُه من وجوده، وتفنيه في مشهودِه عن شهودِه.

ولي في هذا المعنى نظمٌ، وهو هذا:

إذا المرء لم يلبس رداءً من التُّقى على يدِ أستاذٍ خبيرٍ بنفسِه
يُريه رعونات النفوسِ وكيدَها ويُشهدُه المحجوبَ عنه بحسِّه

ويُبدي له المكنون من سرّ كونه ... وتُجلَى له الكاساتُ في حانِ أنسِه
ولم يكُ مجذوباً على يدِ قدرةٍ ... وتحفظُه الألطافُ من عين لُبسِه
ويَحسُنُ منه الخَلْقُ والخُلْقُ والرضى ... ويرفع معناه بإيناع غرسِه
فذاك لعمري ناقصُ الحظّ عاجِزٌ ... يريدُ سبيلاً وهو يأتي بعكسِه
أقلُّ مبادي القوم، إن يكُ هكذا ... ومَن جاءَ بالبهتانِ راحَ ببخسِه

* * *

التنبيه الثالث
وهو الخاتمة
في بيان حقيقة العلم

وفيه وصيّة:

اعلموا رفاقي، أطلعكم الله على خفيّاتِ علمِه وأشرفَ بكم على جليّاتِ حكمه، أن العلم هو إدراك المدرَكِ على ما هو عليه في نفسه إن كان مما يمكن إدراكه. وأما ما يمتنعُ دركه فلا دركُه هو دركُه، كما قال الصدِّيق رضي الله عنه: «العجزُ عن دَرَكِ الدَرَّاكِ هو الإدراكُ»، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: الآية 91]، أي ما عرَّفوا الله حقَّ معرفته، فكيف يعرفونه حقيقةً حقَّ المعرفة؟

إذ المعرفة معرفتان ـ كما قال أبو الحسن النوري ـ: معرفةُ حَقٍّ وهي إثباتُ الوحدانية على ما أبرز من الصفات، ومعرفة حقيقةٍ وهي ما لا سبيل إليها لامتناع الصمدانيَّة وتحقيق الربوبيَّة، فالمعرفة تتعلّقُ من كل معروفٍ بحقٍّ وحقيقة، فالحقُّ من مداركِ العقولِ من جهة الدليل، والحقيقة من مداركِ الكشف والمشاهدة وليس ثَمَّ مَدركٌ ثالث البتّة.

ولهذا قال حارثة: أنا مؤمنٌ حقّاً. فأتى بالمدركِ الأول، وكان عنده مزيدٌ بالمدرك الثاني ولكن سكت عنه... فقال النبي ﷺ: **«فما حقيقةُ إيمانك؟»**، يرى أنه كان عندَه المدركُ الثاني، فأجابه بالاستشراف والاطّلاع والكشف، فقال النبي ﷺ: **«عَرَفتَ فالزم»**[1].

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، برقم (3367) [3/ 266] ورواه عبد بن حميد في المسند برقم (445) [1/ 165] ورواه غيرهما.

فلا تصحُّ المعرفة بالشيء على الكمال إلا بهاتين المعرفتين: الحقّ والحقيقة. فإذا أخبر الله تعالى بأنَّا عاجزون عن إدراكِ حقِّ قدْرِه، فكيف لنا بحقيقة قدْرِهِ؟! وليس القدْرُ ها هنا إلا المعرفة بما يقتضيه مقامُ الألوهية من التعظيم، ونحن قد عَجزْنا عنه، فأحرى أن نعجز عن معرفة ذاته تجلّت وتعالت علوّاً كبيراً.

فلما عاين القوم هذه العظمة والجلال جزموا بأنهم لا يقدّرون قدرَه مع ما تقدَّرَ عندَهم من التعظيم والجلال، وقدر ما هم بالتقصيرِ فعرفوا أنَّه ليس في وُسعِ المحدَث أن يقدّرَ قدْرَ القديم، لأنَّ ذلك موقوفٌ على ضربٍ من المناسبة الحقيقية ولا مناسبة، فتاهوا في مفاوز الحيرةِ لهذه العظمة والجلال، وقالوا: ليس في الوجود إلا الله وأفعاله تعالى، وصفاته غير زائدة على ذاته. فصار معناه: ما ثمَّ إلا الوجود ومعانيه وهي المسماة بالمراتب عند قومٍ، وبالماهيات عند قوم، وبالممكنات عند قوم، وبالأحوال عند قوم، وبالشؤون عند قوم، وبالأعيان الثابتة عند قوم، وهي حقائق الموجودات، وهي غير مجعولة، إذ حقيقةُ الحقّ منزَّهةٌ عن الجعْلِ والتأثُّرِ، وما ثمَّ أمرٌ ثالث غيرُ الحق والأعيان، ولا أثر لشيء في شيء، بل الأشياءُ هي المؤثّرةُ في أنفسِها وأنَّ المسماة عللاً وأسباباً مؤثّرة بشروط في ظهور آثارِ الأشياء في أنفسِها، لا أنَّ ثمَّ حقيقة مؤثِّرةً في حقيقةٍ غيرها. وكذلك ليس شيء يمدُّ شيئاً غيرَه بل المددُ يصل من باطنِ الشيء إلى ظاهرِه، والتجلّي النوري الوجوديّ يُظهرُ ذلك. وليس الإظهارُ بتأثيرٍ في حقيقةِ ما أظهرَ، فالنسبُ هي المؤثّرة بعضُها في البعض، بمعنى أنَّ بعضها سببٌ لانتشاء البعض. وظهور علمه في الحقيقة التي هي محتدِها، ولا أثرَ للأعيان الثابتة مع كونها مرآةً في التجلّي الوجودي الإلٰهيّ إلا من حيث ظهورِ التعدُّد الكامن في غيبِ ذلك التجلّي. فهو أثرٌ في نسبة الظهور التي هي شرطٌ في الإظهار، والحقُّ يتعالى عن أن يكون متأثّراً من غيرِه، وتتعالى حقائق الكائنات أن تكونَ من حيث حقائقها متأثرة، فإنها من هذا الوجه في ذوقِ الكمالِ عين شؤون الحق، فلا جائزٌ أن يؤثّرَ فيها غيرُه، فلا أثرَ لمرآةٍ من حيثُ هي مرآةٌ في حقيقةِ المنطبعِ فيها، والأعيانُ الثابتة هي معاني معلومات الله

تعالى، وهي لا تتناهى كما أنَّ العلم بها لا يتناهى، وفي وجودِ العلمِ الذاتي الإلٰهي هي أعيانٌ متمايزةٌ، وليس كل معنى منها كُليّاً بل كلُّ معنًى منها صوَرُ جزئياته متمايزةً، وليس إلا صور جزئياته.

ولما كان كلُّ معنًى منها تنفَصِلُ جزئياتُه إلى غيرِ نهايةٍ، بقيت تلك المعاني كأنها في التمثيل سلاسل، وكلُّ كعبٍ من السلسلة مثلاً هو صورةُ مسألةٍ من صُوَرِ العلم الإلٰهي متميزٌ ولا شيء منها يسبقُ شيئاً. فإنَّ العلمَ الإلٰهي لا يدخلُ تحت الزمان، ودقائقُ جزئيه، الجميعُ هو من صوَرِ العلمِ الإلٰهي، فالماضي والمستقبل كلاهما للعلم الإلٰهي حاضرٌ. والتجرُّدُ من جملةِ صوَرِ علمِه تعالى مفصَّلاً بأزمنةٍ أزلاً وأبداً. ولولا إحاطة العلم القديم الأزليّ بهذه الممكنات لم يكن لها قبلَ ظهورِها في الأعيان ثبوت، لكنَّ العلمَ المحيط أكسبها وجوداً علميّاً أزلاً وأبداً، فإنَّ العلمَ الإلٰهيَّ مُدرِكٌ للماضي الذي وقع منها، وللمستقبل الذي لم يقع منها، ولوقوعه إذا وقع مما لا بدَّ من وقوعه، ولما يمتنعُ وقوع منها إذا استمر امتناعه، ولما لوجود وقوعه من الممتنع أن لو وقع كيف كان يقع إدراكاً واحداً ولا يدخلُ تحتَ الزمان، بل الزمان وما فيه تحته. فعلمُ الله بالكون أنه سيكون هو عينُ علمه أنه قد كان علماً أزليّاً أبديّاً واحداً لا ينقسم. وإذا كانت نقطة المركز التي لا تنقسم موازيةً لكلِّ نقطة في المحيط ولم تتكثّر بكثرةِ الموازيات، فعلمُ الله أحرَى أن لا يتكثّر بكثرةِ المعلومات، والعلمُ يثبتُ بثباتِ المعلوم ويتغيّرُ بتغيّره، والحقُّ تعالى لا يتغيّر، فالعلمُ به لا يتغيّر، والعلمُ تابعٌ للمعلوم، وليس له فيه أثر بل للمعلوم في العلمِ أثر، فيُعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه، والعلمُ لا يُعطي المعلومَ زيادةً في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أحواله، فأحوالُ الأعيانِ الثابتة لا تتبدّلُ عمّا عُلِمَتْ عليه، إذ الحقائق لا تتبدّل وهي كلمات الله، قال الله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: الآية 64].

فإذا علمَ العبدُ، أي انكشف له من عينهِ الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلى ما لا يتناهى، كان علمُه بنفسه بمنزلةِ علم الله به لاتّحادِ المعدن، لأنَّ الحقَّ تعالى يأخذ علمَه بالأعيان الثابتة منها، لأنَّ علمَه تابعٌ لمعلومه. وكذلك هذا

العبد إنما يأخذُ العلمَ المفصَّلَ من المعلوم، وكل مَنْ عِلمُه صحيحٌ إنما يأخذُ علمَه من معلومه.

فإنْ قيل: إذا حصل لعبدٍ من العبيد علمُ عينه الثابتة وعلمُ ما يكون عليه في حال الوجود، والحقُّ تعالى هو يعلمْ الأعيان الثابتة أيضاً مثل هذا العبد بعينه، فما الفرقُ بين علمِ الله وعلمِ هذا العبد؟

قلنا: لمّا سبقتْ عناية الله لهذا العبد بأن يعلمَ هذا العلمَ صارَ علمُه مستفاداً، والحقُّ تعالى علمُه ذاتيٌّ أزليٌّ أبديٌّ، فافترقَ علمُ الله تعالى من علمِ هذا العبد. وإذا كان العلمُ المستفادُ من وجودِ المعلوم يُسمَّى علماً، وهو علمُ العبدِ، كيف لا تُسمَّى الصفةُ الإلٰهيَّة التي هي ينبوعُ الموجودات كلُّها علماً؟ لا بل الحقُّ أن لا يُطلق اسم العلِم إلا عليها، فإن أطلِقَ على غيرها فبالمجاز المحض وبالتوسُّعِ البعيد والاشتراكِ الصرفِ، فإنَّ العلم ثمَّة عينُ المعلوم والصفة عينُ الموصوفِ، وليست بزائدة على الذات. فإنَّ المعلومَ إمَّا ذاتٌ كمالُها بنفسها، وإما ذاتٌ فرض أنَّ جميعَ ما للأولى بنفسِها، فلهذا مع الصفات صرح العقل حاكماً بأنَّ الأولى أتم لعدمِ افتقارِها في كمالِها، فالذاتُ المستغنية عن الزائد أتمُّ وأكملُ من المفتقرة إليها، فإذن العلمُ ليس هو إلا كمالَ الذات من حيث هي ذات، أو هو كمال الوجود من حيث هو وجود، ولا يوجبُ تكثُّراً، فإذن الحقُّ تعالى هو المستحقُّ لكلِّ كمالٍ غير مكثّر كالحياة والعلم والإرادة والقدرة، وغيرهما من صفات الكمال، وهو المعطي لكلِّ كمالَه، ولا يمكنُ أن يُعطي الكمال القاصرُ عنه فيكون المستفيد أشرفَ من المفيد، وهذا مُحال. فالعلمُ إذن إما حضورُ ذات مفارقةٍ في ذاتٍ مفارقة، أو هو عدمُ غيبتها عنها، وهذا أتمُّ لأنه يعمُّ إدراكَ الشيء لذاته وغيره، إذ الشيءُ لا يحضرُ لنفسه ولكن لا يغيبُ عنها. والحقُّ تعالى غيرُ غائبٍ عن ذاته ولوازم ذاته، فهو عالمٌ وعالميّتُه بذاتِه هي ذاتُه مع عدم الغيبة والتجرُّدِ عن المادة، وهما سلبيان وهو الوجودُ البحت. والأشياء حاضرةٌ له على إضافةٍ مبدئيةٍ

تسليطية، لأنَّ الكلَّ لازمُ ذاته فلا تغيبُ عنه ذاته ولا لازمُ ذاتِه، وعدمُ غيبته عن ذاته ولوازمه مع التجرُّد عن المادة هو إدراكُه تعالى. وإذ ليسَ في الوجود إلا ذاتُه ولوازمُ ذاته فهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ علماً ولا يُحاط به علماً، فإذن العلمُ الإلٰهي ليس بصفةٍ زائدةٍ على الذات المقدّسة الإلٰهيَّة ولا هو منطبعٌ في المعلوم، لأنَّ العدمَ المطلق معلوم، والعدمُ ليس بشيء حتى ينطبعَ فيه شيء، ولا شيء ينطبع في الشيء، ولا العدم شيء ينطبعُ في شيء، وهو إن تعلّق أيضاً، فإنه لا يتعلّقُ الشيء بلا شيء، فالعلمُ بالله تعالى مُحالٌ وسواه حجاب.

إذا فُهِمَ هذا فنقول: العلمُ أكبرُ من أن يُحيط به فهمُ العلماء أو تدركه عقول العقلاء، وبراهينُ هذا المطلوب كثيرةٌ:

منها: قصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة قَدْرِ موسى عليه السلام وما خصَّه الله به من الكلام والنبوَّةِ والرسالة والوحي. فقد ذكرَ الله في المحكَمِ الناطِقِ على لسان نبيّه الصادقِ صلواتُ الله وسلامه عليه عجزَ موسى عن إدراك علمِ عبدٍ من عباده، إذ قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65]، حتى سأله موسى عليه السلام فقال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: الآية 66] مع تأييد موسى عليه السلام وشرفِه وعصمته من الإنكار عليه. على أن الخضر عليه السلام لم يلحقَ درجة موسى عليه السلام في النبوَّةِ والرسالةِ والتكلُّم أبداً.

ومنها: أن الله تعالى خصَّ نبيَّنا محمداً ﷺ بعلوم جليَّةٍ وخفيّةٍ أسَرَّها لبعض أصحابه. قال ﷺ: «**ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلا وصببتُه في صدر أبي بكر**»[1].

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: «علَّمني رسولُ الله ﷺ، باباً من العلمِ لم يعلّم ذلك لأحدٍ غيري». وكان يضرب بيده على صدره ويقول: «إنَّ ها هنا لعلوماً

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء [2/ 565].

جمَّةً لو وجدتُ لها حَمَلَةً».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيما ذكره البخاري في صحيحه: «حملتُ عن النبي ﷺ جِرابين، فأما الواحدُ فبثثتُه فيكم، وأما الآخر فلو بثثتُه لقُطِعَ مني هذا البُلْعوم».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**نحن معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نُخاطبَ الناس على قدرِ عقولهم**»، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النِّساء: الآية 63]، أي: خاطبهم على قَدْرِ عقولهم ومقدار فُهومِهم، فإنَّ القول البليغ هو الذي يكون بحسب مبالِغ المخاطبين.

ثمَّ أمرنا عليه الصلاة والسلام بما أُمِرَ به فقال: «**خاطبوا الناس على قدر عقولهم**»، فالناس ليسوا في المواهب سواءً، فلا ينبغي لأحدٍ أن يظنَّ أنه يحتوي على جميع العلوم حتى يُخطِّىءَ برأيه كلامَ أهل الله تعالى وخاصَّته ويكفِّرهم ويزندِقَهم وهو مقصِّرٌ عن ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم، بل لو سُئِلَ أحدٌ من المنكرين عن مجرّد اصطلاح القوم الذي تواطؤوا عليه في عبارتهم ما عَرَفَه، فكيف ينبغي له أن يتكلَّم بما لم يُحكِمْ أصوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: الآية 39]، فلِم تحاجُّون فيما ليس لكم به علمٌ. ربَّ حامِل فقهٍ ليس بفقيه، ورُبَّ حامِل فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه.

فربما صحَّ عند القوم من الأحاديث ما ضَعفُّوه، فأخذَه القوم من باب الكشف عن قائله صحيحاً، والكشفُ أقوى من الإدراك في الجملة، فهو أقوى من النقل. فما أحسن من سلَّم واشتغل بنفسه! فمن غَلِطَ في علمٍ من العلوم فليسأل أهله، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل: الآية 43].

وكذلك مَن وقع في يده كتاب من كتب القوم فلا يظنُّ أنه يفهمُه ما لم يسلّم لهم، ومن سلَّمَ لا بدَّ أن يجني ثمرة التسليم. فقد قيل: من قعدَ مع الصوفيَّة، يعني أهل الأسرارِ والحقائق، وخالفَهم في شيءٍ يتحقَّقون منه نزعَ الله نورَ الإيمان من قلبه. فعلمُ الحقائق ثمرَةُ العلوم كلها ونهاية العلوم، فغاية جميع

العلوم إلى علم الحقائق، فإذا انتهى إليها وقع في بحرٍ لا غاية له. ويُقال: علمُ القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوُّف، والعلوم كلُّها علومُ الله فلا ينكرُ منها شيء بهذا الاعتبار.

قال الشيخ الحاتمي:

عَقَدَ الخلائقُ في الإلٰهِ عقائداً وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوه

فعلمُ الحقائق هو المهيمنُ على جميع العلوم والمحيط بها، وقوله: «وأنا اعتقدتُ الجميعَ»، لأنَّ كل طورٍ من أطوار المخالفين فهو عنده في شهودِه ظهورٌ من ظهورات الحق تعالى، فيثبتُه من حيث الظهور المشهود له لا من حيث إدراكهم، فإنَّ إدراكهم محجوب إلى الجهل، وإن وافقَ العلم، منسوب. لكن يصدُق عند المحقق أن يقال: إنهم أصابوا، أو يصدُقُ أن يقال: أخطأوا. أما الإصابة فلمصادفة ظهور الحقيقة من ظهورهم بمبلِغهم فإنها الظاهرة بكل مبلغ، وأما الخطأ فلأنهم لم يشهدوا جهة الإصابة ولا باشروا فيما قالوه بَرْدَ اليقين ولا ظهرتْ عليهم بشاشةُ التحقيق، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 78]، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 116]، ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [يُونس: الآية 36]، ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النَّجْم: الآية 30].

وإذا اجتمعت العلوم الشرعية والحقيقية في واحدٍ فهو الإمام الكامل والقطبُ والحجّة والداعي إلى المنهج والمحجّة، ولإحاطته باستعدادات الموجودات يحدو بكلّ أحدٍ إلى وطنه، فيسلكُ بكل أحدٍ على طريق استعداده الخاص به، ويخاطبُ كل واحد على قدر عقله، فإذا رأى مُريداً في مشهدٍ ذاتيّ سمّاه بعبد الله، إذ هو مقامُ من رأى ـ بصفاتٍ يُقال لها: ذات من حيثيّة جمعِها وصفات من حيث تفرقتُها ـ الحقَّ تعالى من وراءِ الضدّين رؤية واحدة يتّحدُ فيها الرائي والمرئي، فيرى اسمه عينَ مسمّاه وصفته عين موصوفه، فإنَّ من رأى الاسم والصفة غيرَه تعالى لم تصح له النسبة إليه بالعبودية الذاتية. أما إذا شَهِدَ الحقَّ تعالى عينَ الأسماء والصفات بظهور أحديَّة الذات صحّت له العبودية

الذاتية التي هي الحرية الحقيقية، التي هي عدم تقيّد الباطن بشيء سوى الحقّ تعالى مطلقاً من حيث هو سوى.

وخلاصة هذه الحرية: أن لا يصدر عن صاحبها في حقِّه ولا في غيره فعلٌ لأجل نفسه ولا لأجل غيره، بل لله وحدَه بمعرفةٍ تامّة وحضور تامٍّ. وإذا رأى مُريداً في مشهدٍ وجودي سمّاه بعبد الرحمان، إذ الرحمةُ هي وجودُ ما بدا، لأنَّ ظهورَ ما ظهر إنما كان بالرحمة الإيجادية، وقد علمتَ أنَّ ما ثمَّ إلا الوجود ومراتبه وقد اقتسمه هذان الاسمان، فأخذ الاسمُ الله المراتب، وأخذ الاسم الرحمان الوجود. ولما كان الله جامعاً لكل شيء وكان الرحمان جامعاً لحقائق العالم وما يكون فيه، لهذا قيل: «رحمان الدنيا والآخرة»، ولهذا قيل لهم: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: الآية 110]، وإنما لم يقل: فلهما، لاتّحادهما في المدلولية، فهما اسمان علمان للحق تعالى.

ثمَّ إنَّ دعائهم إنما هو تعلُّقُهم بالحق تعالى لمنافِعهم على قَدْرِ معارفهم، وهي عند اسمه الرحمان، وهذا الاسم الرحمان يتضمَّن جميع الأسماءِ الحسنى إلا الله، فإنه له الأسماء الحسنى، والرحمان وما يتضمَّنُه من الأسماء يتضمنّه الاسم الله. فكلُّ مَن ينادي الله تعالى فإنما ينادي منه الرحمان خاصة، وينادي من الرحمان الاسم الذي تطلبُه الحقيقة الداعية إلى الدعاء.

وإذا رأى الكاملُ مريداً مشهدُه من مرتبةٍ أخرى من مراتب الأسماء الجزئية سمّاه بذلك الاسم المناسب لمقامِه ومشهدِه كعبدِ الواحد، وعبد اللطيف، وعبد الجبّار وغير ذلك. جعلنا الله وإياكم ممَّن يُدعى في حضرةِ الجمع بعبد الجامع، إذ هي حضرةُ الذاتِ الجامعةِ للأسماء والصفات والأفعال والذوات.

وصيّة

وأمَّا الوصيّة الموعودُ بها، فاعلموا رفاقي، سلكَ الله بكم طريق المروءة وأشهدَكم حقيقة الحضرة، لمَّا ساق بي التقدير الإلٰهي إلى بلادِ أذربيجان، فصادفتُ في قرية من قراها تُعرف بكنجحان، أي راويةُ الروح، شيخاً يقال له: محمد بن الصدِّيق بن محمد قدَّس الله سرَّه، وكان رجلاً موفّقاً للتصريف في أبناء النوع، ملوكِهم ورعيّتِهم، مؤمِنهم وكافرهم، لا يخالفه أحدٌ فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، وكان يتصرّف في باطِنهم أحوالاً وأبداناً، أحكاماً وآراءً بقانونٍ شرعي حكْمي وتفهيم لدنيّ إلٰهي، كان يُعبّر بلسانِ أبناء السبيل عمَّا أودعَ في سورةٍ من التنزيل، وينطقُ بلسان أبناء الطريق عمَّا أُودِعَ في سرِّه من التحقيق، وكان يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه على بصيرةٍ غير هائبٍ لاعتراضِ منتقد.

فأخذني بكلتا يديه وأقامني تحت تصريفه بين يديه منذ تسع سنين، فلما أذن لي في السفر إلى بلاد الشام ودار الإسلام، وصّاني بهذه الوصية بلغته فغيّرتُها أنا بالعربية:

قال قدَّس الله سرَّه: «يا حبيبي، عليك بالتمسُّكِ بعروةِ المروءة في جميع حركاتك وسكناتك عادة وعبادةً فإنها صفةٌ جامعةٌ لكمالِ الإنسانية وهي نعتُ أبيكَ آدمَ في ذلك، لأنها اسم اشتُقّتْ من المرء، وهي لفظةٌ وضِعَتْ لمعانٍ كثيرةٍ واقعةٍ على محاسنَ جمّة من مكارم الأخلاق وممادح الأوصاف، قد جَمَعتْ مناقبَ الأنبياء والأوْلياء وخصائص السادات والكُبَراءِ وخصالَ الملوك والوزراء، وهي همَّةٌ من قلوب الأشرافِ من بني آدم. وليس بعد مقام المعرفة التامة مقامٌ أعلى من مقام المروءة، وهو المقام المسمّى بالتصوُّف الذي هو حسنُ الخُلُق، وأدنى مرتبة المروءة الاشتغال بالله عن كل ما سواه عبودة، وأعلاه الفناءُ في الفردانية، وهي حضرةُ الجمع، أعني حضرة الذات المقدّسة التي تستغرقُ الأسماء والصفات. وبالمروءة فُضِّل الإنسان على سائر

المخلوقات مَلَكاً وفَلَكاً، وجميعُ العبادات الدينيَّة والأخلاق الرضيّةِ المرضيّة نتيجة المروءة، ولولاها لم يحفَظْ أحدٌ جوارحَه عن الرذائل».

اللهمَّ احفَظْنا بحفظِكَ الذي لا يُرام، واكفنا بكنفِكَ الذي لا يُضام، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وسلَّم.

* * *

رسالة الأذكار
الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

تأليف

الشيخ حسن بن محمد الشيرازي
المعروف بالشرف البلاسي

اعتنى بها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

رسالة الأذكار

الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

صورة الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم: (٣١٧٥) (رسالة الأذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم

يقول الفقير من الفقرِ إلى الفقرِ حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي الصوفي، المعروف بالشرف البلاسي، أدارَ الله كؤوسَ عُقار مُدام دَوامِ حُبِّه وذِكره، على قلبه وروحه وعقله وسِرِّه، وسقاه تصديقَ تحقيقِ تدقيقِ رقيقِ قربهِ وبرّه، بإبريق طريق بريق عرفه ونكره، على سماعِ أنغامِ إنعامِ أوتارِ آثار أنوار أفواج أمواج بَحرِ الوجودِ وبَرّه:

الحمدُ لله الذي روَّحَ القلوبَ بسَماع كلامه الذي هو الضياءُ والنور، جَلاءُ الكروب وشفاءُ الصدور، ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فَاطِر: الآية 1] من حسنِ النغمِ والأصوات، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [يُونس: الآية 25] إلى عجائب ما فيها من المعاني والصفات. تهتزُّ بشوقه الشعائرُ وترتاح وتطمئنُّ بذكرِهِ القلوبُ والأرواح. قَصَرَ بصائرَ العارفين على ملاحظة قُدسِ حضرتِه، ووقفَها على مشاهدةِ عجائبِ قدرتِه. صَرَفَ إليه ضمائرهم وأفكارهم وحجبَ عن غيره بصائرهم وأبصارَهم. فبه سماعُهم وإليه استماعُهم، شُغِلَتْ عمّا سواه أبصارُهم وأسماعُهم، فهم الذين أخذهم الله عن جميع الأغيار، وجعلَ قلوبهم خزائن الأسرار ومعادن جواهر الأذكار والأفكار.

أحمدُهُ على ما خصَّ أولياءه بألطافِ المشاهدات وأصنافِ المكاشفات بعد العبور على طريق المكابدات والمجاهدات. وأُصلِّي على سيِّد السادات،

ومقدَّم الكائنات، ومشرع الأسماء والصفات، محمدٍ ذي المعجزاتِ الباهرات والدلائل والآيات، وعلى آله ذوي الحجج الواضحات، وعلى أصحابه الأنجم الزاهرات، وعلى إخوانه الشموسِ المشرقات، وأُسَلِّمُ تسليماً كثيراً.

أما بعد، فقد التمسَ مني بعضُ إخواني في الدين، وأخداني في طلبِ حقّ اليقين، وأقراني في سلوكِ الطريق، وخِلّاني على التحقيق، أن أكتبَ له رسالة موجَزَةً وعُجَالَةً مختصرةً تشتمل على ما حصل لي في خلوتي من أذكاري ومناجاتي بأنواع الأسماءِ الإلٰهية المناسبة لأحوالِ أصحاب الهداية وأرباب التوسُّط وأهلِ النهاية، وسماً ورسماً واسماً وعلماً وحكماً ومعرفةً وذوقاً وشوقاً ووجداً وعشقاً وكشفاً وشهوداً وحقيقةً ووجوداً، من الأحوال الغريبة والآثار العجيبة، والأنوار الشريفة، والأسماء اللطيفة، فأشفعتُه بملتَمَسِه وأظفرته بموجب مقترحه ومقتبسه، وسمّيتُها بـ: «رسالة الأذكار الموصلة إلى حضرةِ نور الأنوار»، ورتّبتُها على مقدّمة، وأنوار، وخاتمة، وأسرار، تُنبه الغافلين، وتُوقِظُ النائمين، وتُهيّج شوقَ الطالبين، وتحرِّك بلابل العاشقين، وتحثُّ ركائب السالكين حتى توردَهم مشارع اليقين وتوصلَهم إلى رتبة العارفين الواقفين، فيصبحون من الفائزين الفرحين المستبشرين المبتهجين بحضرةِ جلالِ ربِّ العالمين.

* * *

المقدّمة

في بيانِ وحدانيّةِ الله تعالى

المقدمة

اعلمْ، أيَّدك الله بروح منه وأمَدَّكَ بنورٍ من لدنه، أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد وصف نفسَه في القرآن المجيد بنوعين من الصفات الإلٰهية:

أحدهما: الإجلال، وهو إشارة إلى الصفات السلبيَّة.

والثاني: الإكرام، وهو إشارة إلى الصفات الثبوتيَّة الإضافية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرَّحمٰن: الآية 78]. والإلٰهيَّة هي حقيقة جامعة للازم السلب والإيجاب، إذ الكلُّ مستندٌ إليه تعالى ومحتاجٌ إليه، وهو مستغنٍ عن الكلّ، وما كان كذلك كان واحداً مطلقاً، وإلا كان محتاجاً إلى أجزائه، فالإلٰهيَّة من حيث هي هي تقتضي الوحدة والوحدة لا تقتضي الإلٰهية. وأما الذات المقدّسةُ الأحديّةُ فهي حقيقةٌ أحديّةٌ تكونُ عنها الكثرة والوحدة، ولا يصحُّ هذا إلا في جنابِ الحق سبحانه وتعالى خاصة.

وأما في قضية العقل فلا يصدرُ عن الواحد إلا واحدٌ أبداً، وأما الذاتُ الأحديَّة فهي حقيقةٌ أحديَّة تكون عنها الكثرة والوحدةُ في حكمِ الشهود، لأنَّ أحديَّة الحق سبحانه خارجةٌ عن حكمِ العقل وطورِه فلا تدخلُ تحت الحكم، فكيف يَدخلُ تحت الحكمِ من خلقَ الحكمَ والحاكمَ؟ هيهات! ليس للعقل الأحديّة لأنه لا يعقلُ إلا بغيرِه لا بنفسه، فلا رائحةٌ له في الأحديّة أبداً. والحقُّ تعالى قد تُعقَلُ به الأحديّةُ وقد يُعقَلُ بالإضافة، لأنَّ الكلَّ له وبه ومنه وإليه، وهو إذ هو عينُ الكلّ لا كليَّة جَمعٍ، بل هو حقيقةٌ أحديّةٌ تكونُ عنها الكثرةُ والوحدة.

فالأحديَّةُ والصمديَّة لله الواحد القهَّار، جلَّ جلالُه وعَظُمَت أفضالُه، وهو فوقَ مقاديرِ العقولِ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعَام: الآية 18]. فمعرفتُه سبحانه لا تكون إلا بالعجز عن معرفته، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: الآية 11].

فقولُ القائل: ليس كذا وليس كذا، مع كونه يثبتُ له تعالى ما أثبتَه لنفسه، إيماناً لا من جهة عقله ونظرِه، فليس بعقله إلا القبولُ منه فيما يرجع إليه. فهو الرحمان الرحيم الربُّ الملك القدُّوس السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيز الجبَّارُ المتكبِّرُ الحيُّ العالِمُ المُريدُ القادِرُ القاهِرُ الجوادُ المُقسطُ الحكيم والخالقُ والبارىء والمصوّر. فهذه وأمثالها من الصفات أخبرنا بها عن نفسه، فنحن نؤمن بذلك كله كما عِلمُه بذلك لا على تأويل منَّا.

لذلك فإنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورى: الآية 11]، فلا يضبطه العقل ولا الناظر، فما لنا من العلم به تعالى من طريق الإثبات إلا ما أوصلَه إلينا في كتبه وصُحُفِه وعلى ألسنةِ رسُلِه المترجمين عنه، ليس غير ذلك.

ونسبـةُ هذه الأسماء وغيرها إليه تعالى غيرُ معلومةٍ عندنا، فإنَّ المعرفة بالنسبة إلى أمرٍ ما موقوفةٌ إلى علمِ المنسوب إليه، وعلمُنا بالمنسوب إليه ليس بحاصل، فعلمُنا بهذه النسبة الخاصة ليس بحاصل، فإنَّ كل ما لا يمكن حصوله إلا بالوهب الإلٰهيّ من طريق الكشف والشهود والمشاهدة والرؤية والتعريف الربّاني والتعليم الرحماني، فحصولُه من غير هذا الطريق محال.

وقد عرفت مآخذَ العقل، من أين تركيبُ براهينها وأدلّتها، فالمقصودُ بها منوطٌ والإقدامُ على هذه الأمور غيرُ حَسَنٍ. فلا سبيل للتعرُّض لنفي الصفاتِ ولا لإثباتها إلا إيماناً، بل والمشاهِدُ والمكاشِفُ والرائي كلهم

يضربونَ في حديدٍ باردٍ، فالأولى لأصحاب العقولِ وأهل النظر والفكر بالوجود الوقوفُ والإقرارُ بأحكامِ الصفات، فإنَّ من أثبتَ أعيان الصفات زائدةً على الذات الموصوفة بها، فقد أثبتَ العَدَدَ والكثرةَ في الله سبحانه، وهو تعالى واحدٌ من جميع الوجوه.

ولا يُقال: لا يلزمُ من هذا إثبات العدد على وجهٍ ما، فإنا نقول: **ثمَّ** ما هو أشدُّ عليهم من العددِ والكثرةِ، وهو أن تكونَ الذاتُ المقدّسةُ كاملةً بغيرها، إذ كلُّ كاملٍ بغيره ناقصٌ في ذاته. تعالى الله الواحدُ الأحد عن أن يكون كاملاً بغيره. وأما من نفى أعيانها خوفاً من مثل هذين المقامين إمَّا الكثرة وإما العدد، يلقاه أمرٌ آخر، وهو أن الحكمَ لا يقدرُ من جهةِ الدليل الذي قدّمتموه على معرفةِ الله تعالى أن يُثبتَ هذه الأحكام للذاتِ مجرَّدةً، فإذا أثبتَ كونَه قادراً وقعَ الفعلُ أزلاً وهو مُحالٌ، وإثباتُه قادراً لنفسه مُحالٌ، فلم يبقَ إلا أن يعلمَ أنَّ الأسماء للذات المقدّسة هي أحكام ترجع من المحدثات إليها.

وهي **قسمان**: معلومةٌ ومجهولةٌ، أما المجهولة فلا كلامَ فيها حتى تُعلم، وأمَّا المعلومة فهي على أقسامٍ، **منها**: ما يدلُّ على عين الذات المقدّسة لإيقاع التمييز للسامع من العبارة، ويُسمَّى مرتجلاً أو جامِداً، وهذا الاسم لولا نحن ما أُطلِقَ عليه. **ومنها** ما يُعقَلُ منه معنًى زائدٌ على الذاتِ المقدّسة، وهل يدلُّ على عين الذاتِ المقدّسة أم لا؟ ففيه توقُّفٌ بالنظر إلى العقل، فإنْ دلَّ على عينِ فهل هو عينُ الذات المقدّسة المعوَّل عليها هذا الاسم أم ذات زائدة؟ فمِنْ ذاهب إلى أنَّه عينُ الذاتِ المقدّسة، ومن صائر إلى أنه ذاتٌ زائدة، وثَمَّ اسمٌ يُعقَلُ منه سلبُ ما لا يَليقُ بالمسمى كالقدُّوس، وثَمَّ اسمٌ يُعقَلُ منه إضافةٌ وسلوبٌ معاً كالقيُّوم ومعنى هذا كله، فمنَّا نعقلُه لا منه.

تنبيه

اعلم أن الاسم قد يَرِدُ ويُرادُ به المسمَّى، ويَرِدُ ويُرادَ به اللفظُ الدالُّ على

المسمّى، فالخلاف في هذه المسألة لفظي، ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى إلا أسماؤه، ولا يُعقلُ منه غيرها. وبهذه النسبةِ سميناه معروفاً ومعلوماً ومذكوراً ومسبحاً وممَجَّداً، وسمّينا أنفسنا عارفين عالمينَ ذاكرين مسبِّحين ممجِّدين. ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلا على الاسم، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية 1]، و﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرَّحمٰن: الآية 78].

والاسم ليس إلا علامة للمسمّى يُعرف به عند الغيبة، ولولا الغيبُ ما احتيجَ إلى الاسم، فإذا حَضَرَ المسمّى غابَ الاسم، إذْ الإشارة تنتفي في الحضرة، فكيف العبارة؟!

فإن قيل: المسمَّى لم يزل حاضراً ظاهراً لم يغبْ قط ولا يغيبُ والعالم لم يظهر قط ولا يظهر أبداً، فمن أين حَدَثَ الاسم؟ أهو أمرٌ حَدَثَ من الأثر، أو هو أمرٌ يكون عنه الأثر أو كلاهما؟

قلنا: إن أُريد بالاسم غير المسمّى فالاسم يحدثُ من الأثر، وإن أُريد بالاسم المسمّى فالأثر منه يحدُث، ومعناه كان المسمّى، وهو ما كان مركَّباً تركيباً معنوياً أو حسيّاً، أو غيرَ مركّبٍ تركيباً معنويّاً أو حسيّاً، كلفظِ رحيمٍ مثلاً أي ذات ورحمة. فالمسمَّى بهذه التسمية هو عين تلك النسبة الجامعة بين ذاتٍ ورحمة حتى جُعِلَ عليها من هذه النسبة اسمُ فاعل، وإن كانت التسمية جامدة لا يُعقلُ منها غير الذات فليست بمركّبة تركيباً، مثل إنسان تحت مركّبٍ حسّي.

تنبيه

اعلم أنَّ الفرقَ بين الاسم والرسمِ، أنَّ الاسم حالٌ للعبدِ في الوقت من

الأسماء الإلٰهية عند الوصل وهو إدراك الفائت، وأن الرسم نعتٌ يجري في الأبدِ بما جرى في الأزل.

والفرقُ بين النعتِ والصفة: أنَّ النعتَ هو ما طلبَ النسبة العدميَّة كالأولِ والآخر، وأنَّ الصفة هي ما طلب المعنى الوجودي كالعالم والعلم.

تنبيه

اعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى من رأفتِه بعباده حذَّر من نفسَه، فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية 28]. فالله رؤوف بالعباد، معناه: لا تتفكّروا في ذاتهِ.

وقال رسول الله ﷺ: «**تفكَّروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله**»[1].

وقال عليه السلام: «**كلُّنا في ذاتِ الله حُمَقَاء**»[2].

وإنما نهانا وحذَّرنا عن التفكُّر في ذات الله عزَّ وجلَّ لأنه غير ممكن، وذلك لأنَّ الفكرَ في الشيء مسبوقٌ يسبقُه تصوّره، وتصوّرُ كُنهِ حقيقةِ الحق تعالى غير ممكن، فالذكرُ فيه غير ممكن. فعلى هذا لا يمكن الفكرُ إلا في مخلوقاته تعالى، وأما في ذاته تعالى فمحال، فإنَّ الذات المقدّسة من حيثُ هي هي لا تُعقَل، أمَّا من حيث إنها منعوتة بالإلٰهيَّة فإنها تُعقلُ ولا تكشَفُ. وإذا كان الحقُّ سبحانه فوق مقادير العقول، ولا تقوم دلائلُ العقول عليه تعالى، ولا سبيل لها إليه لأنَّ حضرةَ جمعه هي أحديَّة يكونُ الموصوفُ بها عينَ وصفه في شهودِ الشاهد، فالشاهدُ ليس غيرَ المشهودِ هنالك، فالعقلُ معقولُ عن إدراك جمع الجمع فضلاً عن إدراك أحديَّة الجمع. فأدلّة العقول إذاً لا تدركُه، ولا

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (120) [1/ 136]، ورواه أبو الشيخ في العظمة، باب الأمر بالتفكُّر في آيات الله عزَّ وجلَّ. . .، حديث رقم (1) [1/ 210] ورواه غيرهما.

شكَّ أنَّ سبيل العقول هي التصرُّفُ في المقولاتِ العشر بالكليَّات الخمس، وجميعُ العقولِ لا تتجاوزُ ذلك. والمقولات بأسرِها والكليّات بأجمعها هي مأخوذة من تشبيهٍ خفيّ في الأشخاص، وهي إما أن لا تكون شيئاً البتَّة أو تتأخر تأخُّراً كثيراً عن الأشخاص، والأشخاصُ هي جميعُ ما يترتّبُ عليها المحيط التاسع إلى مركز الأرض، وهي شخص واحد من أشخاص أنواع غير متناهية في النوع فكيف في الشخص؟ وهي من عالم الخلق، وعالم الخلق لا يدرك عالمَ الأمرِ فضلاً عن أنْ يُدرك الحقيقة الأحديَّة الجامعة للعالمين. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 54].

فإذن لا دليل على الله إلا الله، ولا سبيل إلى الله إلا بالله، بل لا يعرِفُ الله على الحقيقة إلا الله، ولا يَرى الله إلا الله، ولا يشهدُ أحديَّة الله إلا الله، ولا يذكرُ الله إلا الله، ولا موجودَ إلا الله، ولا فاعلَ إلا الله، وليس في الوجودِ إلا الله، وأفعالُه صفاتُه وصفاتُه لا تغايرُ ذاتَه. فهو لا هو ولا هو إلا هو، وأدِرْ القولَ معه كيف شئت.

وإذا كان ذلك كذلك، فاعلمْ أنَّ مَنْ سلَكَ الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ بالفكرِ والنظرِ والتعليم، كما هو دأبُ الفلاسفة ومن نحا منحاهم من أهل النظر من طريق قياس الشاهد على الغائب بالإثبات إن شبَّهوه وبالسلب إن نفوه، انقطع في الطريق دون بلوغه إلى التحقيق، ومات بين مقام النقل والتقليد، ولم يصل إلى مقام التجريد والتفريد، فضلاً عن الوصول إلى ما فوق مقام المعرفة والتوحيد، ولا يصلُ أبداً إلى ما يُثلجُ فيه الصدور ولا إلى ما يحصلُ به اليقينُ والنور.

وقد أخبرَ رئيس فلاسفة الإسلام عن انقطاعه في عدم وصوله إلى التحقيق، وقال نظماً:

فيا عجباً أنَّ كلَّ امرئ طويلَ الجدالِ دقيقَ الكَلِمْ

يـمـوتُ ومـا حَـصّـلـتْ نـفـسُـه سـوى عـلـمِـه أنَّـه مـا عَـلِـمْ

وقال:

عَــدِمْــتُ مــنّــي بَــدَنــا إن كــنــتُ أدري مَــنْ أنــا

وقال موفّقُ الدين بن الحديد البغدادي، رحمه الله، أيضاً:

فـيـكَ يـا أغـلـوطَـة الـفِـكَـر حـارَ فـكـري وانـقـضـى عُـمُـري
سـافـرت فـيـكَ الـعـقـولُ فـمـا ربـحـت إلا أذى الـسـفـرِ
فـلـحـى الله الألـى زعـمـوا أنَّـكَ الـمـعـروف بـالـنـظـرِ
كـذبـوا، إنَّ الـذي زعـمـوا خـارجٌ عـن قـوَّةِ الـبشـرِ

وقال رئيس المتكلِّمين: أنا أعرفُ الله تعالى بالنظر والفكر. فلما دَنَتْ وفاته استغفر وقال: نهايةُ ما علمتُ بالنظرِ والفكرِ أني علمتُ أنني ما علمتُ شيئاً.

وأكثرهم، بل جميعهم، اعترفوا أنهم ما عرفوا شيئاً، وإنما منعهم من الوصول إلى الواحد الحق استنادُ علومهم إلى صُوَرِ الأشياء، وهي التعيُّناتُ العدميَّةُ المسمَّاةُ بالفَرقِ. وهي ما تمتازُ به الأشياء بعضها عن بعض، ويمتاز الحقُّ تعالى بها، وهي نِسَبٌ في الوجود، وإلا لما كان عنها عبارةٌ، إذ العبارة تقع باعتبار الوجود إذ فيه التمايز في العدم. فاعجَبْ لهما من متلازمين متقابلين، فالتمييزُ في الوجود لا بالوجود وبالعدم لا في العدم، والتعيُّنات هي عالم الخلقِ وهي البرزخ، ولكونها أعداماً فلا نسبة للعدم إلى الله تعالى، لأنه الوجود البحتُ الصرفُ المحضُ وما سواه عدمٌ صرفٌ وتفرقةٌ محضةٌ.

وأما الجمعُ القابلُ لهذا الفرق فهو ما به تشاركُ الموجودات وهو الوجودُ، وصفة استنادهم إلى صُوَرِ الأشياء كما مرَّ، أنَّهم انتزعوا من المحسوسات صوراً ذهنيَّة هي تلك التعيُّنات التي أشرنا إليها بعينها، فوجدوا تلك الصور في أذهانهم متمايزةً متعيِّنة، فأضافوا الأشياء إلى أشباهها وحصروها في كليات خمس، وهي: الجنس، والنوع، والفصل، والخاص،

والعَرَضُ العام، وحصروا ما تتصرف في الكليات الخمس في مقولاتٍ عشر، وهي: الجوهر وتسعة أعراض وهي: الكمّ، والكيف، والإضافة، والأين، والمتى، والوضع، والجدة، وأن يفعل، وأن ينفعل.

وقد جمعَ بعضهم الجميع نظماً، وهي هذه:

سهلُ الطويلُ الأسودُ، بن مالك — في بيتِه، بالأمسِ، كان متَّكي

بيده سيفٌ، لواه، فالتوى — فهذه العشر مقولاتُ سوى

كلُّ هذه صور الموجودات، ولذلك لا تُحملُ إلا على صورةٍ صورة، مثل قولهم كل ج، ب. أي كلُّ صورةٍ من صور الجيم فهي صورة ما من صور الباء، والصورة مجهلةٌ غرّارة نعوذ بالله منها، والشيئياتُ هي الصور على اختلافها وعلى حقائق نسب متمايزة تحجُب عن الحق تعالى ولا تدلُّ على التوحيد، بل تدلُّ على الشرك. فمن كَثُرَتْ تعلُّقاته عَسُرَ خلاصه من الحجاب. فحظُّ كل إنسان من الحجاب كحظّه من التعلّق بالصور، فإذا تجلَّى الحقُّ بأنوار وحدانيّته على القوّة الباهرة من حضرة الاسم الظاهر تعلَّق الإدراك بالأنوار اللامعات والمجالي الظاهرات، ورأى الحق في جميع الممكنات فضلاً عن صُورِها، وتفنى الصور حال شهوده بل الأغيارُ والسِوى بأسرِها في نظرِ المتجلَّى له، لأنه إذا ظهرَ مَنْ لم يزل فهي مَنْ لم يكن، وفناؤه بوجهٍ عجيبٍ غريب عند الاسم، وهو: أن تصير هي هو في شهودِ الشاهد.

فإن قيلَ: مَن لم يكن لا يقال فيه يَفنَى، لأنَّ الذي يَفنى في العُرِف فلا بدَّ أن يكون له تحقُّق ما، وذلك كونُ ما كيف يقال في أنه لم يكن؟

الجواب: قلنا من عَرَفَ التعيُّنات والنِسَبَ والإضافات المسمّاة بالأغيار وبالسِّوى والحرفِ وغيرها من أسماء الصور، علم أنَّ من لم يكن كيف يفنى. وذلك أنَّ الذي كان يراه قبل وصوله إلى شهود مقام «**كان الله ولا شيء معه**»[1]

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

غيراً صار في شهودِه عيناً، وإلا فالحقُّ تعالى لم يزل ظاهراً ولا يزالُ كذلك، إذا ما ظهر سواه ولا بطنَ غيره. ويلزمُ ما غابَ وظهرَ للقوى والأوهام ولا يلزم للحقيقة منها شيء، وكيف يلزمُها ومنها منشؤها؟ فالمعدوم لا يصير موجوداً أبداً، كما أنَّ الواجبَ لا يصيرُ محالاً أبداً، لأنَّ الحقائق لا تنقلب، وإليه الإشارة في القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: الآية 64]، و﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الرُّوم: الآية 30].

فالإثبات راجع إلى المُثْبِت لأنه ما أثبتَ إلا ما هو عليه في نفسِه، والسلبُ راجعٌ إلى العدم، والعدمُ نفيٌ محض لأنه عبارة عن اللاوجود. وهو، ولا يُقال هو إلا لضرورة التفهيم، اسمٌ ليس له مسمّى وحقيقةٌ متَّصلة، بل هو ألفاظٌ دالَّةٌ على لا شيء من كل وجه، وهي العين والدال والميم. وهذه الحروف التي تركَّبَ منها هذا الاسم هي موجودة ذهناً ولفظاً وخطّاً لا عيناً ووجوداً وذاتاً وحقيقةً محصَّلةً. وما لا وجود له في الخارج والأعيان فهو باطلٌ من حيث معناه وحقٌّ من حيث حروفُه، فإنها موجودة في ثلاث مراتب من مراتب الوجود، أعني ذهناً ولفظاً وخطاً لا عيناً وثبوتاً وحصولاً.

وغايةُ أحدِهم، أعني المثبتين والنُفاة، إذا انتهى إلى نهاية مقامِه، أعني مقام العلم العُرفي النظري الفكري، أن يعترَف بجهله ويدّعي أنَّه علم أن ما عَلِمَ. وهذا طريقٌ مُبْعِدٌ ومُجَهِّلٌ، لا مقرِّبٌ ولا معرِّفٌ، فإنَّ العلم بالسلبِ سلبُ العلم، وهذا العلم إلى الجهل أقربُ منه إلى العلم، وإلى العمى والحجاب أقربُ منه إلى البصيرة والكشف. والسلوب والإضافات والنِسَبُ والتعيُّنات كلها عدمياتٌ فأينَ العلم بالله! هيهات! ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110]، فأنّى للمقيَّد بمعرفةِ المطلقِ والمحدَثِ بمعرفةِ القديم والممكن بمعرفة الواجب، ما للتراب وربّ الأرباب.

ويُدخل إلى الملوك بإذن حُجّابِها، فمن مسبِّحٍ في بحرِ الأفكار العقلية

بالوسائط الخيالية فهو الحائر الذي لا يهتدي أبداً، فإنه يطلبُ من كل شيء حقيقته، فإذا قال: وجدتُ وقد حصّلتُ ما كنتُ طلبتُه فقد خَسِرَ وسُقِطَ في يده من حيث لا يشعر. فالسعيد من أهل الفكر والقلب مَن لا يثبتُ له قدمٌ ولا يستقرُّ به منزلٌ ولا يتنفّسُ الصعداء ويقول: انقضى العمرُ وما أنتجَ طلبي إلا الحَيرَة والقصور، فذلك أسعدُ أهل الفكر، ونعوذ بالله من ظلمة الأفكار فيما لا ينبغي أن يُفَكَّرَ فيه.

فالعالِمُ المُحقِّقُ من أتى البيوت من أبوابها، وطلب الحكمةَ من أربابها، ولم يأتِها من ظهورها، فثمَّة علومٌ لا تحصلُ إلا من طريقُ المشاهدة أو العين وملازمةِ الذكر، فلا تصل الأفكار إليها أبداً لمعرفةِ الذات المقدّسة والنشأة الآخرة وأحكامها وشبه ذلك.

وأما مَن سلك إلى الله عزَّ وجلَّ، بطريق الذِكر والتسليم واعتصمَ بالله وجاهد في الله حقَّ جهادِه على يد سالكٍ عارفٍ مرشدٍ كامل لا من حيث التعيُّناتُ ولا من حيث التيقنات، وما يتمايز به، بل من حيث الشهود وصلته بالوجود كما هو دأبُ الصوفية أهل الجمع والوجود والرزق والشهود والكشف الحقيقي والتجلِّي الكلِّي، **والجمعُ** هو ما به تشاركُ الموجودات، وبه تجتمعُ المتفرّقات، وتأتَلِفُ المتباينات، **والتباينُ** هو بالتعيّنات العدميَّة، فإنَّ إدراك الفرق صعب، لأنه بحرٌ مُغرِقٌ غَرِقَ فيه الأوّلون والآخرون إلا أهل شهودِ الوجود. لكنَّ الغريق في هذا البحر ناجٍ سعيد، وأما الناظِرُ إلى هذا البحر من سيفه وساحله، المشفقُ على نفسه من طولِه فهو ناجٍ محرومٌ، ولقد غَرِقَ في غمراتِ الجهلِ من ليس له دليلٌ مرشدٌ، كما يغرقُ في بحر الدنيا من ليس له سفينةٌ ولا دليل، وهم الأكثرون.

إذ النــاسُ كثيرون والعلماء منهم قليلــون، والعلماء كثيرون والعارفون منهم قليلون، والعارفون كثيرون والواقفون منهم قليلون، والواقفون كثيرون

والراؤون منهم قليـلـون، والراؤون كثيرون والجلساء منهم قليلون، والجلساءُ كثيـرون وجليسُ العزيـز منـهـم واحدٌ فردٌ لانفـرادِه بالوجودِ عـن العدم وبالذاتِ عن الأسماء حتى عن الاسم العلم.

ولي في هذا المعنى نظمٌ، وهو جوابُ سائلٍ سألني في مدينة الموصلِ عن مذهبي بطريق الاستهزاء، فقلت له:

يا سائلاً عني ليعرفَ مذهبي هيهاتَ! دونَك مانعٌ ومنيعٌ

إن كنت تنكرني، أنا الفردُ الذي لا تـابِـعٌ أبـداً ولا مـتـبوعُ

فلما سمع هذين البيتين أنكر عليَّ وكفّرني، وجرت لي وقائع ليس هنا موضع ذكرِها.

وبالجملة، قلت لهم: اسمعوا معناهمُا ليزولَ عن نفوسكم الإنكارُ، قالوا: قل، فقلت لهم: اعلموا، فتح الله أعينَ بصائركم، إنه كما أنَّ الحق سبحانه وتعالى انفرد بالوجود وليس معه سواه حتى نطلق عليه أنه تابع أو متبوع، لأنه فردٌ في الوجود، بل هو عينُ الوجود. وما ليس بوجود فهو عدمٌ محضٌ فلا يَتْبَعُ ولا يُتَّبَعُ، فكذلك الإنسان انفردَ بالعدمِ لرجوعه إلى أصلِه فإنَّ العدم وصفُه المحقَّقُ في القِدَم، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسَان: الآية 1] ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسَان: الآية 1] ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسَان: الآية 1]. وقال عزَّ من قائل لزكريا عليه السلام: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: الآية 9] أي: ولم تكن موجوداً، إذ الشيء اسمٌ للموجود، وما ليس بموجودٍ أصلاً فهو معدومٌ حقيقةً، والمعدوم لا يتبع الموجود ولا يتبعُه الموجود. فسلّموا واستغفروا وشكروا بشيء من الدنيا.

فثبت أنَّ الطريق الموصِلَ إلى الحق هو من حيث التعيُّنات التي هي أنوارُ وجوده وفيضُ جودِه وتجليّات نورِه في أطوارِ ظهوره.

فإذا اعتُبرتْ من حيث شهودُ الوجود كانت أنواراً فائضةً وأسراراً بادية من نور ظهوره، وأما إذا اعتُبِرَت من حيث التعيُّنات، وهي الامتيازات العدميَّة والفروق العدميَّة، كانت ظلمةً باديةً من فوتِ مرامِ الحقّ وإلى مرام الحق آيبةً. ولما كان الحق سبحانه هو الوجودَ المحض، كانت المعدومات مثل من فاته الوجود وفاتَه أيضاً أن يروم الوجود، فإنه لو رام الوجود لكان له نصيبٌ من الوجود، إذ لا يطلبُ الشيء نقيضَه لأنه إذ ذاك لا يكونُ طالباً ما يطلبُه، فكأنه يكونُ على هذا التقدير ليسَ عدماً إذ ذاك، لأنَّ ما يطلب عدمَه فهو وجودٌ، لكن التقدير أنه عَدَمٌ قد فات بهذه الجهة مرامَ الوجود، فتعيُّنُها هو في مقامِ فوت الوجود، وذلك هو العدم.

ولما كان الحقُّ سبحانه وجوداً محضاً وفوت الوجود هو العدم، فالظُّلمُ أعدامٌ ومنشؤها في فوتِ المُرام، ثمَّ هي إلى فوت المرام آيبةٌ أي راجعةٌ، فإنَّ العدم إنما يرجع إلى العدم، ولما كان الوجود لا يظهرُ إلا جزئياته كان العدمُ لا يظهر إلا باعتبارات تقابل تلك الموجودات وهي أيضاً جزئيّةٌ، ولما كان حظُّ الوجود المحقّق أن يكون في الخارج كان ما هو من الظلم فيما يُقابلُ الخارج وهو الداخل ويُعنى به الذهن.

سؤال: لا يُقال: إن الذهنيات موجودات ذهنيّةٌ، وأنت قلت: إن هذه أعدامٌ، فكيف تفرضها في الذهن، وذلك يقتضي لها السبب للوجود وإن كان ذهنيّاً؟

جواب: لأنَّا نقول: لا شكَّ أنَّ في الذهنِ سلوباً، وتصوّرُ السلوب هو وجوديٌّ، والسلبُ نفسُه عدميٌّ، فالتصوُّرُ هو الذي أوهمَ أن يكون ذلك العدمُ الإضافيُّ عن عدم إنْ كان بعدم فمعناه أنَّه لم يقع إخبار، وحينئذٍ يبطلُ التفاهم بين المتخاطبين، فاضطّر الحال أن يُستعارَ لهذا النوع وجودٌ، وأضعفُ الوجودات هي الذهنياتُ، وكلُّ ما يعتبره الذهنُ اعتباراً ولا وجودَ له في الخارج فإنها ظُلَمٌ، ولذلك لا يتحقّقُ إلا باعتبارات الموجودات، والسلوبُ

كلُّها من الظُلَمِ، لأنَّ الوجودَ هو النور وهو الحقُّ، والعدمُ هو ما يقابِلُه وهو الظلمة وهي الباطل. ولهذا من سلك إلى الله تعالى من حيث التعيُّنات العدميَّة لم يهتدِ إلى باب القدس ولن يصلَ إلى روحِ الأنس ولا إلى جناب القدس، فمن اقتصرَ من السالكين إلى الله تعالى على الوجودِ ووقَفَ مع السلب أفلحَ وفازَ بالشهود وظَفِرَ بالمقصود، ووصل إلى المعبود، وأضاءَ بأنوارِ الوجود، وظهر بفيض الجود، لأنَّ الوجودَ هو النور وهو ماهيَّته وبه الظهور.

فهذا ما أردنا ذكره في هذه المقدّمة والله الهادي والمرشد.

* * *

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الرسالة الأولى

الرسالة الثانية

AL-MAWĀQIF AL-ILĀHIYYAH

by

Ibn Qadib Al-Ban

(D.1040H.)

Followed by

RISĀLAT TUḤFAT AL-RŪḤ WAL-UNS
FĪ MAᶜRIFAT AL-RŪḤ WAL-NAFS

And

RISĀLAT AL-AḎKĀR
AL-MŪṢILAH ILĀ ḤAḌRAT NŪR AL-ANWĀR

Both by

Ash-Sharaf Al-Balasi

All edited by

Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

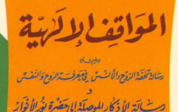

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان
Beirut-Lebanon

هٰذا الكتاب

إنه في إطار الحديث عن مواقف الروح في مقامات تجليّات الأسماء والصفات الإلهية نقدّم للقرّاء الكرام كتاب **«المواقف الإلهيّة»** للعارف بالله تعالى الشيخ عبد القادر بن محمد أبي الفيض السيد الأفضل أبو محمد المعروف بابن قضيب البان، الذي أوقفه الله تعالى فيه على التجليّات التالية: نفس الرحمان، البرازخ العرشيَّة، برزخ بين الغيب والشهادة، الإيمان بالغيب، الإسراء، مقام العلى، مقام الولي، مقام الخلافة، مقام المحبة، هوية الهواء، كلمة تسوية مدينة الإنسان، العلم، السُّكر، سرّ قيام الحياة بالذات، الأنانية، القطبيَّة، التصريف، الفناء، الغوثيَّة، الحقيقة المحمديَّة، الانسلاخ، مفاتيح الغيوب، سفر السالكين، معارف مناهج العارفين، الأسماء، إيجاد الروح، الفقر المطلق، الاصطفاء، الجنات.

وإتماماً للفائدة ألحقنا بالكتاب رسالتين نفيستين منسجمتين في موضوعهما مع مضمون الكتاب والغرض منه، للعارف بالله تعالى الشيخ حسن بن محمد الشيرازي المعروف بالشرف البلاسي، الأولى: **«رسالة تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس»** وهي عبارة عن كلمات عرفانية، ونكتات وجدانيَّة، وإشارات عرشيَّة، وتلويحات لوحيَّة، سطِّرت بأقلام شهوديَّة على أوراق وجوديَّة. ورتَّبها على مقدّمة وثلاثة تنبيهات. **المقدمة** في بيان معرفة ما أطلق عليه لفظ الروح. و**التنبيه الأول** في بيان معرفة وحدة النفس الإنسانية عقلاً ونقلاً، و**التنبيه الثاني** في بيان ظهور نور الحق بالعالم الأكبر والأصغر وترتيبهما ومراتبهما، و**التنبيه الثالث** خاتمة في بيان حقيقة العلم.

والرسالة الثانية: هي **«رسالة الأذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار»**.





كتاب - ناشرون | بيروت - لبنان Beirut-Lebanon
tel: +96176 944855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

